

شعر

آلاء حسانيين

و

# يخرج مرتجفا من أعماقه



FIFA WORLD CUP  
RUSSIA 2018



براءات  
المتوسط

آلاء حسنين  
و  
يخرج  
مرثجاً  
من  
أعماقه



براءات  
المتوسط

يُخْرِجُ  
مَرْتَجًا  
مِنْ  
أَعْمَاقِهِ

حقوق النسخ والتأليف © ٢٠١٨ منشورات المتوسيط - إيطاليا.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. ويجوز استخدامه لأغراض تعليمية أو لإصدار كتب موجهة إلى ضعيفي البصر أو لفاقديه شريطة إعلام الدار. تستثنى أيضاً الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

Yakhruj Murtajjifan Men A'maqeh by "Alaa Hasanin"

Copyright © 2018 by Almutawassit Books.

المؤلف: آلاء حسنين / عنوان الكتاب: يخرج مرتجعاً من أعماقه

الطبعة الأولى: ٢٠١٨.

صورة الغلاف: اشتغال على عمل للفنان البرتغالي كريستيان كوسيرو

الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-85771-31-4



منشورات المتوسيط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:

Alzaia Naviglio Pavese. 120 / 20142 Milano / Italia

العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب. 55204.

www.almutawassit.org / info@almutawassit.org





أَيُّهَا الطَّبِيبُ، مِنَ الْمَحَالِ تَخِيلُ حَيَاةً، لَا يَتِمَكَّنُ  
فِيهَا الْمَرءُ مِنْ أَنْ يَقْتَلَ نَفْسَهُ.

إِلَى طَبِيبِي النَّفْسِي، الَّذِي كَانَ بِلَا فَائِدَةٍ ..  
مُعْظَمَ الْوَقْتِ.





## إهداء آخر:

إلى أيمن ساعي، صديقي، الذي عانقته الحياة ذات مرة عناقاً مرّاً ..

وإلى راسم .. الذي كُنْتُ أعرفُ، قبل أن يمضي، أنه لا بدّ سيمضي ..

وإلى ريتا غراهام .. تحت أيِّ قمرٍ تسهرين الآن؟

وإلى أريج عبد الله، الأمّ التي لا تنام .. الأمّ التي لم تنم.

وإلى لوليتا .. التي تركناها - أنا وأنتَ - في الظلّ، ونحن نعرف أنها ستموت.

وإلى محمّد غازي، صديقي الذي خاض حُرُوباً كثيرة مع كلِّ شيء ... وخاض حُرُوباً أكثر مع نفسه.

وإلى مزمل آزادي .. صديقي، الذي يسكّر وحدّه، في حانةٍ بعيدة.

وإلى بشرى الجمعة، التي أحببّني، أكثر ممّا فعلَ العالمُ ... ذات يوم سنقولُ:  
تقريباً نجونا.

وإلى سلمى عمّار، التي ما تزالُ تُؤمنُ، حين لم يعد أحدٌ كذلك ..

وإلى وفاء صلاح .. سنواتٌ كثيرة مرّت، سنواتٌ كثيرة نستمُر. ولحسن الحظّ،  
أو ربّما لسوءه .. أننا لم نتحرّم معاً، ذلك اليوم، في تلك القلعة.

وإلى سهيلة بدر، أنا وأنتِ، نعرفُ جيّدًا، كيف تخرُجُ هذه الوحدة كُلّها من العظامَ، وكيف ننامُ، ونحن نضعُ أيدينا على قلوبنا، لنكتُمَ أُنينها ..

وإلى أشرف فيّاض، صديقي السيِّئ، الذي قال لي ذات مرّة: لا تفعلني مثلي، اهربي .. وهربتُ.

وإلى أمي، التي تبرعُ دومًا في أن تجعلني أكثر كآبة.

وإلى إباء زتاوي، التي لا تتركُ أصدقاءها يتهشّمون وحدهم، مهما كان الثمنُ.

وإلى سكينه السماوي؛ لأن الله - كما تعرفين - لم يعد يقيمُ في بغداد ..

وإلى دُعاء الشريف، أعرفُ كيف لا يجدي الإنشادُ المُتقن شيئًا، حين تُبصرين الحياةَ تسرحُ بعيدًا عن بابك ..

وإلى ملوك، لقد نَجّونا في النهاية، بفضلِ الأصدقاءِ ربّما، أو المورفين .. على الرّغم من أن أبا قديمًا تركنا تنمو في الظلّ ..

وإلى أنس العبّاس، الشاعر الذي لا يتركُ الحياةَ تنتظرُ طويلًا أمامَ بابهِ، ويمكنُ أن يُوجّلِ القصيدةَ، لأجلِ امرأة ..

وإلى عبد الله المُحسن، الذي أراد أن يموت كعائلة كاملة، حيث لا يعود هناك من يمكن إخباره بالأمر.

وإلى إبراهيم .. صديقي، الذي لا يعرف كيف يُهادِنُ حزنه.

وإلى إيمان، لأنّ في الحياةِ ليلاً كثيرًا .. ليس أقصرَ، ولا أقلّ حدّة.

وأخيرًا إليّ: لا بأس .. عبرتِ ليالٍ أكثرَ وحدةً من هذه.

كما لو أنّ في الأمرِ مزحةً ما ..



## ما يُشبهُ التَّعبَ البسيطَ ..

سأجيءُ عندَ حُلُولِ المساءِ،  
بعدهما يتحلَّلُ هذا الجسد  
في القبرِ الرخاميِّ ..  
سأصيرُ فضاءً أزرقاً  
وأطفو فوقَ المنازلِ.

سأصيرُ رياحاً  
أو صيِّباً يعدو  
بين الأحرارِ  
بحثاً عنِ الشمسِ ..

سأصيرُ جذعاً  
وأبحثُ  
عن الوطنِ القديمِ  
عن صوتِ تكسُّرِ جِرارِ الطينِ ..  
عن الآباءِ الراحلينِ  
خِلْسَةً  
بثيابِ النومِ  
وعن بقعةِ أرضٍ  
تتمدَّدُ فيها جذوري ..

سأجيءُ  
من البلادِ الباردةِ  
لأتساءلَ  
عن الصحراءِ  
التي مَنَحْتَنَا حُرُوبًا  
وآباءَ قُساةِ  
وجُلُودًا سمراءِ  
وقواربَ للأملِ .. والعَرَقِ.

سأجيءُ  
لأسألَ الأصدقاءِ  
عن ليالي الوحدةِ الطويلةِ  
وعن المعاصمِ  
التي رَبَّتِ الانتحاراتِ  
والقصائدَ الحزينةَ ..

سأجيءُ  
لأسألَ الأصدقاءِ  
كيف لم يَلْمَحُوا  
خلفَ ابتساماتِنَا  
عذاباتِ كثيرةٍ؟!  
سأجيءُ لأسألَ الآباءِ

الذين ربّوا  
إخوةً دافئين  
عن بردِنا الطويل ..

سأجيءُ ظلامًا  
أو حُرْتًا مُفاجئًا  
أو تَعَبًا بسيطًا  
في العِظام  
يسألُ الأصدقاء  
عن الحياة  
وكيفَ عبُرُوا ..  
هذا العُمَرَ كُلَّهُ  
من دوني؟

سأجيءُ  
لأسألُ الأمّهات  
اللاتي مَنَحَنَّا الحياة  
مغموسةً بالتعب ..  
كيفَ كُنَّ  
يُغَمِضْنَ أَجْفَانَهُنَّ  
في الليل ..  
ونحن،  
في الغرِفِ المجاورة ..  
نحشو مُسَدِّساتنا؟

# كَظَلُّ يَتَمَدَّدُ عَلَى جِدَارِ

بينما كَانَ الْعَالَمُ  
يَجْمَعُ صَبِيئَتَهُ، وَيَمْنَحُهُمْ آبَاءُ  
وَبَيْنَمَا كَانَتِ الشَّاحِنَاتُ  
تُحْمَلُ الْأَطْفَالَ فِي صِنَادِيْقِهَا  
لِتُوْرَعَهُمْ عَلَى الْمَنَازِلِ ..

بينما الْأَمْهَاتُ كُنَّ يَغْرِلْنَ الشَّمْسَ  
فُمُصَانَا ..

لِأَطْفَالِهَا الْقَادِمِينَ  
أَطْفَالِهَا الَّذِينَ سَيَطْرُقُونَ الْبَابَ  
فِي آيَةٍ لِحِظَةٍ ..

وَبَيْنَمَا كَانَ الْآبَاءُ  
يَجْمَعُونَ فِي خِرَانَاتِهِمْ  
كُرَاتٍ وَكُتُبًا وَشَرَائِطَ وَرَدِيَّةَ  
وَأَسْمَاءَ غَيْرِ مُكَرَّرَةٍ  
وَأَحْذِيَّةَ لِأَعْيَادِ الْمِيلَادِ كُلِّهَا ..  
بينما كَانَ الْأَطْفَالُ



يُمْنَحُونَ قُبْلًا  
وَهَدَايَا  
وَقِصَصًا قَبْلَ النَّوْمِ ..

بينما كَانَ الْأَطْفَالُ يَكْبُرُونَ ..  
وَأَيْدٍ كَثِيرَةٌ تَمْتَدُّ  
لِتَلْبَسَهُمُ الْجَوَارِبُ  
تُوقِظُهُمْ فِي السَّادِسَةِ صَبَاحًا  
تُعَدُّ لَهُمُ الْفُطُورَ  
تُبَدِّلُ قُلُوبَهُمُ الْمَعْطُوبَةَ  
تُصَفِّقُ لَهُمْ فِي حَفَلَاتِ التَّخَرُّجِ  
وَتُرَبِّتُ عَلَى أَكْتَابِهِمْ بِفَخْرٍ  
حِينَ يَخْتَارُونَ حَبِيبَاتٍ جَيِّدَاتٍ.

كُنْتُ أَكْبَرُ وَحْدِي ..  
هَكَذَا  
كَظَلِّ،  
يَتَمَدَّدُ عَلَى جِدَارٍ.

# أنا حَيٌّ، أرجوك، احقني بالمُورفين

أنا حَيٌّ  
احقني بالمُورفين.  
منذُ تسعةَ عشرَ عامًا  
وقلبي يتلَوَّى  
مثلَ مريضٍ بالصَّرَعِ ..

أنا حَيٌّ  
وتسعةَ عشرَ عامًا  
ليستُ شيئًا ضئيلًا ..

النهاراتُ طويلةُ  
الناسُ كثيرُونَ  
والأسماءُ يصعبُ حفظُها.  
الأشياءُ التي أراها  
تقفُرُ داخلَ عينيِّ.

الناسُ الغرباءُ

الناسُ على الأرصفة  
الناسُ في محطاتِ الباص  
الناسُ الذين لا أعرفُهُم  
حين يُحدِّقونَ في وجهي  
تظللُ عيُونُهُم  
- حتَّى عندما يُحدِّقون في شيءٍ آخر -  
تُحدِّق في وجهي ..  
طوالَ النهار  
طوالَ الليل  
طوالَ تسعةَ عشرَ عامًا.

ليالي تشرين الباردة  
البلدانُ الباردة  
والأجسادُ الباردة  
التي ترتجفُ منَ الخوف  
أو الرغبة ..

صوتُ التلفازِ عالٍ  
وأُمَّ تحشو مُسدِّسها  
في العُرفةِ المُجاورة  
أُمَّ تنتحرُ  
في العُرفةِ المُجاورة ..

أُمَّ تَمُوتُ كُلُّ تَشْرِينِ  
فِي الْعُرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ.

أَنَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ..  
أَنَا فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ ..  
وَرَجُلٌ فِي الْأَرْبَعِينَ  
رَجُلٌ نَحِيلُ  
رَجُلٌ يَخَافُ اللَّهَ  
يَنْزَلِقُ عَلَى جَسَدِي  
بِسِنَوَاتِي السَّبْعِ  
وَأَصَابِعِي النَّحِيلَةِ ..  
وَأَقْدَامُ الْمَارَّةِ  
تَعْرِفُ إِيقَاعًا خَفِيفًا  
فَوْقَ الْأَرْصَفَةِ  
فِي نَهَارِ صَحْوِ.

وَرَجُلٌ فِي الْأَرْبَعِينَ  
يَلْهَثُ فَوْقَ رَقَبَتِي  
عَلَى بَلَاطَاتِ بَارِدَةٍ.

أَنَا حَيٌّ  
وَرَجُلٌ يَخَافُ اللَّهَ

يظللُّ يلهث  
فوقَ رَقَبَتِي  
كلِّما كانَ النهارُ صَحْوًا  
وإيقاعُ خفيفٍ ..  
فوقَ الأرصِفة.

أنا حيِّ  
النهاراتُ طويلة  
أمِّي تنتحرُ كُلَّ تشرين  
في العُرفةِ المجاورة  
وأنفاسُ رجلٍ في الأربعين  
ما تزال على رَقَبَتِي  
ساخنةً.  
قَدَمَاي باردتان  
لديَّ تسعة عشرَ عامًا  
والحياة،  
مثلُ مِعصٍ في معدتي

أنا حيِّ  
في رأسي مُدُنٌ وحافلات  
وجسدي ما يزالُ مُلقًى  
فوقَ بلاطاتٍ باردة.

أنا حيّ  
وتسعة عشر عامًا  
ليست شيئًا ضئيلًا.

أنا حيّ  
أرجوك  
أرجوك  
احقني بالمُورفين.

# لن أصفحَ أحدًا

أعيدُوا أيديكم لجيوبكم  
لن أصفحَ أحدًا  
احملُوا نَعْشِي فارغًا  
اردمُوا قبري  
واذهبُوا بعيدًا  
املؤُوا خِزَانَتِكُمْ بِالوَقُودِ  
واذهبُوا للعملِ  
أَوِ الانتخابَاتِ  
أَوِ الحربِ ..

أنقذُوا العالمَ  
وفكروا  
كيف تَخِيطُونَ ثِقَبَ الأوزونِ  
أنجِبُوا أبناءَ  
وراقبُوهم كيف يكبرون  
ثم ابكُوا لأجلِهِم  
حين يتخرَّجون  
أَوِ يموتُونَ صغارًا  
في حوادثِ السَّيرِ.

انْشَغِلُوا بِالْبُكَاءِ عَلَى شَيْءٍ آخِرٍ  
شَاهِدُوا فَيَلَمَّا مَثَلًا  
وَابْكُوا حِينَ يَمُوتُ الْبَطْلُ  
فِي النِّهَايَةِ ..  
اتْرَكُوا حَبِيبَاتِكُمْ  
وَابْكُوا  
اجْرَحُوا أَصَابِعَكُمْ  
بَسْكِينَ الْفَاكِهِةِ  
وَابْكُوا..

حَدِّقُوا فِي الشَّمْسِ طَوِيلًا  
وَبَيْنَمَا تَدْمَعُ عُيُونُكُمْ  
اضْحَكُوا بِسُخْرِيَةٍ  
لَأَنَّ الْعَالَمَ الْمَلْعُونَ صَارَ أَيْضًا  
وَاخْتَفَى ..

عُودُوا صِغَارًا  
وَتُوهُوا فِي الزَّحَامِ  
ثُمَّ ابْكُوا  
بَيْنَمَا تَبْحَثُونَ عَنْ أُمَّهَاتِكُمْ.  
افْعَلُوا أَيَّ شَيْءٍ  
وَابْكُوا  
لَكِنْ، لَا تَبْكُوا عَلَيَّ ..



اسحبوا أيديكم من أمامي  
لن أصافح أحداً ..  
لا أريدُ أن أموتَ الآن  
وجهي ما يزالُ مُزهراً  
ويدي  
أفرغتُ من جُيوبها  
تلويحاتِ الوداعِ كُلِّها.

ما زلتُ أحبُّ المشي  
حافيةً ..  
فوقَ العُشبِ النافرِ  
بفستانِ صيفيِّ.  
وهواءٍ دافئٍ  
يداعبُ شِعْري ..

أحبُّ الاسترخاءَ  
على كُرسيِّ المُفضَّلِ  
وكتابٍ جميلٍ ..  
يغفو بين أصابعي.

لا تقطفني الآن ..  
أيها الموت  
يا ملاكي الحاني  
الحياةُ أبديةٌ

الأيامُ كثيرة  
الشمسُ تُشرقُ كلَّ يومٍ ..  
وأوراقُ التقويم  
أكثرُ من أن نَعُدَّها ..

وحتماً  
ذاتَ صباحٍ ..  
سأذهبُ معكَ في نزهة  
لكن، دَعني الآن  
يا صديقي  
أريدُ أن أعرفَ  
كيف أُداوي أُرقي.

# أَغْنِيَّةُ غَجْرِيَّةَ

لا تَقْتُلُونِي بِسَكِّينِ صَدِيٍّ  
الْبَحَّارَةُ قَادِمُونَ مَعَ الْفَجْرِ  
وَالرَّرْقَةُ فِي وَجْنَةِ السَّمَاءِ  
بَادِيَّةٌ.

لا تَدُقُّوا قَلْبِي كَبُنْدُقَةٍ  
فِيهِ حُزْنٌ مُحِبًّا،  
وَسَوَادِي  
مِثْلَ الْمَطَرِ..  
لا يَدْخُلُ مَعَ الْأَبْوَابِ.

أَنْزَلُوا الْمَرَّاسِي بِبُطْءٍ  
حِينَ يَجِيءُ الْبَحَّارَةُ مَعَ الْفَجْرِ،  
لِلْبَحْرِ قَلْبٌ لَيْنٌ  
وَأَيْنُهُ الْأَزْرَقُ يَعْلو  
حِينَ تَهْوِي مَنَاقِيرُ الْمَرَّاسِي ..

خُذُونِي إِلَى عَالَمٍ آخَرَ  
يُشْبِهُ الطَّفَوَّ الْأَبْيَضَ

بعد الكأسِ الأولى  
في الحانة.

للدُّنيا طَعْمٌ حَامِضٌ،  
وأنا،  
عُرْفُ دِيكٍ،  
مَجْدُوعٌ فِي مَرْتَلَةٍ.

لا تَقْتُلُونِي بِسَكِّينِ صَدِيٍّ  
سَيَتَسَلَّلُ سِوَادِي  
نَحْوَ الْأَسْرَةِ..  
أَصْلِحُوا سُقُوفَكُمْ الْخَشَبِيَّةَ.  
لِلدُّنْيَا طَعْمٌ حَامِضٌ،  
لَكِنْ،  
كَمْ هُوَ مُحْزِنٌ  
الْمَوْتُ فِي مَسَاءِ مَحْمُومٍ.

## الفراغُ، له وزنٌ أيضًا

الفراغُ، له وزنٌ أيضًا  
يَجْهَدُ عالمٌ فيزيائيٌّ،  
أن يُفسِّرَ لي،  
أن اللاشيء  
هو، في الحقيقة،  
شيءٌ أيضًا.  
وأنا أفكِّر،  
كيف بإمكانني  
أن أصوغَ ذلك كُلَّهُ  
شِعْرًا؟  
وكيف أستغلُّ هذه الفوضى  
لأُشرِّحَ لرفاقي  
لماذا أحرصُ  
أن أبقِيهم بعيدًا؟  
ولماذا أتصرَّفُ بعدوانيةٍ  
تجاه كُلِّ شخصٍ أعرفُه؟  
ولماذا حين أحبُّ شيئًا،  
أسعى لأن أتخلَّصَ منه؟

إذ إنَّ الفراغ،  
له وزنٌ أيضاً؟  
والناسُ الذين أعرَفُهُمْ  
يترسَّبون داخلي  
ومن سوءِ حظِّنا،  
فإنَّنا لم نتطوّر بما يكفي  
كي نُقدِّر أيضاً

أن نهضمَ ما في قلوبنا.  
وأنَّ الإنسانَ  
يموتُ في نهايةِ المطافِ  
من تراكمِ الأيامِ  
التي ابتلعَها،  
وأن بإمكانِ حتّى الموسيقى  
أن تُسبِّبَ عُسرًا  
في الداخل،  
وفي النهايةِ  
كيف يُتخيَّلُ  
أن يمضي المرءُ  
سبعين عامًا، مثلاً  
وهو يتلَعُ الصور  
والمناظرَ الطبيعيَّةَ  
والموسيقى

والشتائم  
والناس  
والفوضى  
والكوارث  
ثمّ يكون بإمكانه  
أن يبقى حيّاً  
ليومٍ آخرٍ إضافيٍّ؟

## الآباءُ حَجَزُوا قُبُورَنَا الرَّخَامِيَّةَ ..

عندما أموتُ،

أريدُ أن أصيرَ قاربًا ..

و أُبحِرَ في الزَّرْقَةِ.

أريدُ،

- أنا اليباسُ،

المعجون

من حُزَنِ الأَرْصَفَةِ،

وصفَعَاتِ الأُمَّهَاتِ

الخَشَنَاتِ،

والخَطَوَاتِ الوَحِيدَةِ -

أن أصيرَ عُروْبًا

و أُبحِرَ إلى نَفْسِي.

الآباءُ حَجَزُوا

قُبُورَنَا الرَّخَامِيَّةَ،

والأُمَّهَاتُ اخْتَرْنَ

أَلْوَانَ التَّوَابِيْتِ.

وردُ الجَنَائِزِ



جاهرُ للقطف ..  
والعرناتُ في الخارج  
جاءت لحمل جثتي.

خطواتٌ كثيرة  
وراءَ البابِ الموصد.  
ولا أحدَ علّمَ الجثث  
كيف تفتحُ أبوابَ المشارح ..  
كيف تقفُ على قدمين  
وتختفي،  
في العتمة.

وأنا،  
أريدُ أن أصيرَ ضياءً  
وبحيراتِ زرقاءَ  
وصوتِ خطواتٍ قديمة.  
والعرناتُ في الخارج ..  
جاءت لحمل جثتي.

أمي تُكدّس  
حزني القديم  
في صندوقِ خشبيّ.  
والأبُ الميت

منذُ الطُّفولة،

عاد

كي يُشيعَ نفسه.

وأنا، لستُ إنسانًا

كي أتكوّمَ في قبرٍ ..

أنا ابنُ الأُصفة،

الذي أطمَمَ

لحمه النّيء

لقَمِ الشوارع ..

وعندما كُنْتُ صغيرًا

كُنْتُ يَراعًا

ومجدافًا خشبيًا ..

وكُنْتُ ظلالَ الحُزن

في بيتنا القديم.

لكن أمّي غزلتُ منّي

صبيًا صغيرًا

وقالت: كُنْ ابني.

وعندما كُنْتُ في المهد

كُنْتُ أتذكّرني،

حينما كُنْتُ

دُميَّةً ثلجيَّةً ..

وأبكي الصقيع،

في الخارج.

لكنَّ أمِّي،

جَعَلْتَنِي صُنْدُوقًا خَشِيبًا،

وَأَخَذْتَ تُكْدُّسُ الْأَحْزَانِ

فِي قَلْبِي.

وَالعَرَبَاتُ فِي الْخَارِجِ،

أَيُّهَا الْهَوَاءُ الْأَخِيرُ

وَالعُشْبُ الْأَخْضَرُ

الَّذِي سَأَفْتَقِدُ ..

جَاءَتْ لِحْمَلِ جَسَّتِي.

وَأَنَا،

لَسْتُ إِنْسَانًا

لَأَتَكَوَّمُ فِي قَبْرِ.

أَنَا،

صَوْتُ الْحَيَاةِ الْمَكْتُومِ

وَأُرِيدُ طِفْلًا

لَأُصْحِكَ فِي حَنْجَرَتِهِ.

## طفلٌ يتأخَّرُ دوماً ..

أما أنا ..

فمن بين الأطفالِ كلِّهم

لم يتبعني القمرُ يوماً

إلى المنزل

لم تُوقظني الفراشات

كلما كنتُ أغفو على العُشب

لأنهضَ راکضاً خلفها

لم تصرُ أسناني اللبنيَّة

نُجوماً

ولوَّحتُ لي من بعيد

وحين كنتُ أتأخَّرُ في العودَةِ ليلاً

لم يكنُ رجالُ القرية

يحملون مشاعلهم

ويخرجون

هاتفين باسمي ..

لقد كنتُ أتأخَّرُ دائماً

عن كُلِّ شَيْءٍ تَقْرِبًا

مَثَلًا

كُلَّ صَبَاحٍ

كُنْتُ أَحْضَرُ لِلْمَدْرَسَةِ

وَالْجَمِيعُ يَصْعَدُونَ إِلَى فُصُولِهِمْ ..

وَحِينَ كُنْتُ أَعُودُ لِلْمَنْزِلِ فِي الظَّهِيرَةِ

كَانَتِ الْعَائِلَةُ، فِي الْغَالِبِ،

قَدْ انْتَهَتْ لِلتَّوَمَنِ غَدَائِهَا ..

وَعِنْدَمَا كَبِرْتُ قَلِيلًا،

كَانَتِ الْفَتَاةُ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا

تَنْهَضُ دَوْمًا

قَبْلَ أَنْ أَنْخَفِضَ

وَأُقْبِلَهَا أَحْيَرًا

لَقَدْ كَانَتِ الْحَيَاةَ

دَائِمًا

دَائِمًا

تَسْبِقُنِي بِخُطْوَةٍ.

# أمرٌ مُحزِنٌ أن يكونَ للمرءِ خمسةُ أصابعٍ ..

كم هو مُحزِنٌ  
أن يكونَ للمرءِ  
خمسَةُ أصابعٍ،  
وقلبٌ  
يُشبهُ التُّوء  
في قميصٍ قديمٍ.  
وأصدقاء  
مثل أَلَمِ الأَسنانِ.

كُلُّ يومٍ،  
تُشرقُ الشمسُ  
باهتةً،  
الطعامُ يصيرُ رَمادًا  
في فمي  
وكم يُصبحُ شاقًّا  
المشيُّ،  
نحو المَعسَلَةِ.

العالمُ أسود

الشجرُ أسود  
مقَابِضُ البَابِ سوداءُ،  
وَوُجُوهُ البِشْرِ،  
تُشْبِهُ التَّغَوُّطَ.

ولهذا،  
يُتَّبَتُونِي بِالْأَحْزَمَةِ فِي السَّرِيرِ  
وَيَحْقِنُونِي بِالْمِ حَارِقِ.  
ثُمَّ يَبْدَأُ الْعَالَمُ بِالتَّلَاشِي  
وَتَخْتَفِي الْوُجُوهُ  
الَّتِي تَظْهَرُ لِي فِي السَّقْفِ.

يقولُ طَبِيبِي:  
يَجِبُ أَلَا أَظَلُّ وَحِيدًا،  
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْهَمَ  
كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْمَرءِ  
أَنْ يُصَادِقَ أَنَا سَا  
غَيْرَ مَوْجُودِينَ؟

أَنَا غَيْرُ مَوْجُودِ  
النَّاسِ فِي الشَّارِعِ  
غَيْرُ مَوْجُودِينَ  
وَحَتَّى طَبِيبِي الْمَسْكِينِ،

لا يعرفُ أنه لا يوجد  
إلا في رأسي ..  
وأنه يختفي  
بمجرد أن أُغمضَ عيني.

إنني لستُ شخصاً وحيداً  
أنا الشخصُ الوحيد،  
في هذا العالم،  
والناسُ كلُّهم،  
محضُ أشياء أتخيّلها.

وحين أُعلّقُ نفسي  
في مِرْوَحَة،  
سيتهي العالم.  
ولذلك،  
يُقيّدونني في سرير  
ويطلبون مني  
أن أظلّ حيّاً.

ذاتَ يومٍ عثروا عليّ  
وأنا أكسِطُ جِلدي ..  
كان الدمُ في كُلِّ مكان،



وسمعتُهُم يقولون:  
حاول أن يقتل نفسه.

كم كانوا مخطئين،  
لقد كنتُ أحاول  
أن أُبدل بجلدي الورق،  
وكانت لدي أفكار رائعة  
حول استخدام عُروقي  
كحبال غسيل.  
وكنْتُ أحاول  
أن أدفنَ قَدَمَيَّ في التراب  
لتنبت شجرةُ أصابع  
وكنْتُ أريدُ أن أذوب  
وأخلق نفسي  
مجدِّداً.

وبدلاً من أن أكون  
شيئاً واحداً  
أريدُ أن أصيرَ كُرَّةً  
وأوعيةً  
وعُلباً صينيَّةً  
وكنزاتِ صوفيَّة  
وحبالب غسيل.

أريدُ أن أصيرَ طريقًا  
وعتبهً قديمةً  
وغُرَابًا أسود.

لكنَّ طبيبي يقول:  
الإنسانُ لحمٌ ودم،  
ولهذا أشعرُ بالتعفن،  
والكدَمَاتُ الزرقاءُ في قلبي  
محضُ لحمٍ فاسد.

وأقولُ لطبيبي:  
أغلقِ أنفَكَ بمشبكِ غَسِيل،  
رائحةُ اللحمِ في كُلِّ مكان.  
وأليسَ مُحزنًا  
أن يكونَ للمرءِ خمسةُ أصابع؟

## دَعْنِي أَتَشَرَّد

خُذْ مِعْوَلًا  
واضرب عميقًا  
في قلبي،  
اقطع جذرَ هذا الحُزن ..  
خُذْ مِعْوَلًا أكبر  
واضرب جذرَ ربِّ البيت،  
سَرِّدْ هذي العصافيرَ الحزينة ..  
دَعْ هذه الأغصان  
تتهاوى ..  
ودَعْنِي  
أَتَشَرَّد.

دَعْنِي أُجَرِّبُ  
كيف يكونُ دَفْنُ الأمِّ  
وكيف الحياة  
دون أبٍ  
في الصورة ..  
دَعْنِي لا أموت  
طيرًا دافئًا

لم يُجربَّ الطيران  
ولم يعرفْ  
كيف ترفُّ الأجنحة ..

دَعْنِي أموت  
أمامَ المداخل  
أو في المداخلِ،  
أو قمرًا ضائعًا  
في الثلج ..

دَعْنِي أُجربَّ  
كيف يكونُ اليَبَّاسُ ..  
وكيف يكون  
العَرَقُ ..

دَعْنِي أُجربَّ  
كيف ينأى الوحيد  
وكيف يبدو  
نومُ الخنادق  
أو نومُ الأرصفة ..

دَعْنِي أعرف  
ما هو الحُزنُ الجميل ..  
وكيف يبدو الاغتراب  
أو الضياع  
في محطاتٍ مجهولة،

أَوْ السَّيْرِ  
دُونَ وَجْهَةٍ فِي اللَّيْلِ ..

دَعْنِي أُجْرَبْ

بَرْدَ الْأَصَابِعِ

وَالعَيْشَ

بِهَوِيَّاتٍ مَسْرُوقَةٍ

وَتَبْدِيدَ الْحَيَاةِ

فِي الْحَانَاتِ

وَمَحَطَّاتِ الْمَتَرِ ...

دَعْنِي أَعْرِفْ

كَيْفَ يَمُوتُ الْإِنْسَانُ

مِنَ الْحَيَاةِ،

وَكَيْفَ يَبْسُ الْجَسَدُ الْحَزِينُ

عَلَى رَصِيفٍ ..

كَيْفَ يُصْبِحُ فِجَاءَةً

لَا مَرْتِيًّا ..

دَعْنِي أُغَادِرُ هَذَا الرَّيْفِ

وَدَعْنِي أَتَشَرَّدُ ..

## كما لو أنّ في الأمرِ مزحةً ما ..

أطرقُ بابَ حياتي  
وأدخل،  
كُلُّ شيءٍ يبدو مُعتمًا  
كما لو أنّ في الأمرِ  
مزحةً ما ..

موتى كُثُرُ  
يجرُّون جثَّهمُ  
داخلَ رأسي ..  
موتى كُثُرُ  
يَبْتَرُونَ أَعْضَاءَهُمْ  
ويزرعونها  
ظلالاً سوداء  
في رأسي ..

جَسَدِي أزرَق ..  
وأصدقائي  
يدفونني سرًّا في الليل  
ويُغلقون البابَ وراءهم ..

تَخَيَّلْ أَنْ تَكُونَ حَيًّا  
وَيَدْفِنَكَ شَخْصٌ مَا!

أصدقائي ..  
يَكْنُسُونَ حَيَوَاتِهِمْ.  
أنا البُقْعَةُ السوداء  
في مَراياهم الصافية ..  
أنا الكلبُ الأسود  
الذي ينبح  
في مَنَامَاتِهِمْ كُلِّهَا ..

أنا عالق ..  
كما لو أن الدُّنيا  
حُلْمٌ سَيِّئٌ،  
ومحالٌّ أن أصحو ..

جَسَدِي  
يَصِيرُ تَابوتًا  
وأنا،  
طفلاً صغيراً ..  
يشعرُ بالوحدة  
في الداخل ..  
أُغْمِضُ عَيْنِي  
أَفْتَحُ عَيْنِي

وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ  
تَحوُمُ حَوْلَ رَأْسِي ..  
أُمِّي تَتَحَبُّ فِي الزَّاوِيَةِ  
وَبِنَاتٌ صَغِيرَاتُ  
يَرْمِينَ وُرُودًا بِيضَاءُ  
عَلَى جَسَدِي ..

كَمَا لَوْ أَنَّ فِي الأَمْرِ  
مَزْحَةً مَا ..  
يُشْبِهُ هَذَا اليَوْمَ ..  
يَوْمَ جَنَازَتِي.

مِثْلُ مَزْحَةٍ ثَقِيلَةٍ ..  
هَذَا الحَيَاةِ  
لَكِنِّي مَا أزالُ أَرغِبُ  
أَنَّ أَضحَكَ بِسُخْفِ حَوْلِهَا ..

أُغَمِضُ عَيْنَيَّ ..  
أُفْتِحُ عَيْنَيَّ ..  
يَبْدُو اليَوْمُ فَعَلًا ..  
يَوْمَ جَنَازَتِي.



## حينما يكون قلبي حافياً

كُنْتُ صَبِيًّا بِجَسَدَيْنِ  
وَأَحَدُهُمَا كَانَ شَقَافًا  
وَلَا يَسْتَطِيعُ لِمَسِّ الْأَشْيَاءِ .  
وَلَأَنَّ النَّاسَ نَصَفُ عُمَاةٍ  
كَانُوا يَرُونَ جَسَدًا وَاحِدًا ،  
يُصَافِحُونَ جَسَدًا وَاحِدًا  
وَفِي الْعَطَلِ الصِّيفِيَةِ  
حِينَ أَصِيرُ فَتَاتَيْنِ  
- إِحْدَاهُمَا شَقَافَةٌ أَيْضًا -  
وَنَبْدًا بِالتَّسَكُّعِ  
كَانَ الرِّجَالُ الْعَجَائِزُ  
بِالزَّغَبِ كُلِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ  
يُشْهَرُونَ نُقُودًا مِنْ نَوَافِذِ السِّيَّارَاتِ  
لِأَدْخَلِ وَأَمَصَّ أَعْضَاءَهُمْ .

وَكُنْتُ أَفْعَلُهَا ،  
بِالْبَلَادَةِ نَفْسِهَا  
الَّتِي أَجْرُ بِهَا السَّتَائِرُ فِي الصَّبَاحِ .  
فِي أَيَّامٍ أُخْرَى

حين يكونُ قلبي حافيًا  
وجَسدي الآخر يتجولُ ميتًا في الشارع ..  
أبدأُ بالتساؤلُ عن جدِّيةِ إيمانِ البشرِ بالرَّبِّ  
ومثلُ الصَّبِيَّةِ الصَّغارِ كُلِّهم  
أضعُ يدي بينَ فخدَيَّ  
ويا للغرابة ..  
أجدُني أشعرُ بالله  
عندما أستمَني.

في الشتاءِ عندما يكونُ الجوُّ باردًا في الخارج  
وزوجانِ قبيحانِ يتأوَّهانِ في العُرْفَةِ المُجاورةِ  
يبدأُ طقسُ إغلاقِ النوافذِ  
وأفكَّرُ، كم هو مُضجِرٌ أن يكونَ للإنسانِ أخ.  
ومثلُ كُلِّ ربيعٍ،  
حينما تقتربُ الشمسُ بيضاء  
وهي تكبحُ رغبةً دفينَةً  
في أن تصيرَ قطارًا يخرجُ عن السَّكَّةِ  
وينفجرُ في وجهِ البشريَّةِ ..  
يبدأُ بطنُ امرأةٍ في الصالةِ بالتكوُّرِ  
وشلالٌ من البشرِ سيَتَتشرون كالبراغيثِ  
على مدارِ أعوامٍ كثيرة.

ومثلما يحصلُ عادةً  
حينما يصبحُ المرءُ كبيرًا

وينتهي تقريبًا من تجربة الأشياء كُلِّها  
يتخلَّصُ الناسُ من أقدامهم  
وينشغلون بعدَّ الأيامِ المُتبقِّيةِ في جُوبهم.

ولأني أعرفُ الأشياءَ كُلِّها  
ولديَّ أجسادُ شقَّافة  
ومن المستحيلِ أن أشنقَ نفسي  
مثل بقيةِ الناسِ  
حين أصلُ دونَ أجوبةٍ للسَّتينِ.  
لأني نشأتُ وسطَ السرابِ  
الذي لا يصلُ إليه الناسُ ..  
ولأني أنشغلُ بقصِّ أظافيري  
في اللحظةِ التي يذبحُ فيها شخصٌ آخرًا في الشارعِ.

لأني لا أرغبُ بمعرفةِ الأشياءِ  
ترحفُ نحوي الأجوبةُ كُلِّها  
وأعرفُ كيف يبدو ذاكَ الإلهُ هناكَ ..  
لكنَّ البشرَ أكثرُ براءةً ممَّا ينبغي  
ولذلك لا أقولُ شيئًا  
سوى أنه يُشبهُ الأخطبوطَ  
لأن لديه أذرعًا كثيرةً ..  
ولا أستطيعُ أن أصفَ  
كيف يصيرُ سعيدًا  
حالما يراها تتشابكُ مع بعضها.



آبَاءُ غَادِرُوا مَعِ الْبَحْرِ ..



## بسبب آبائنا على الأرجح ..

أُصِيبْنَا بِالتَّعَاسَةِ، بِسَبَبِ آبَائِنَا عَلَى الْأَرْجَحِ ..  
بِمَكَانِكَ تَبْسِيطُ الْأَمْرِ لِأَيِّ غَرِيبٍ فِي حَانَةِ ..  
فِي حَالٍ سَأَلَكَ عَنْ صِبَاحَاتِكَ، وَلَمْ تَبْدُو غَائِمَةً.  
الآبَاءُ .. بَعْدَهَا يَصْبِحُ كُلُّ شَيْءٍ جَلِيًّا ..

أُصِيبْنَا بِالتَّعَاسَةِ، وَلَا يُشْبَهُ الْأَمْرُ أَنْ تُصَابَ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ ..  
فَفِي طُفُولَتِكَ، يَبْدَأُ الشُّعُورُ بِالسَّامِ بِالتَّزَايِدِ  
وَتَصْبِحُ أَقْلَ رَغْبَةً فِي الرِّكْضِ حَوْلَ الْجَمِيعِ  
أَوْ الْحَصُولِ عَلَى تَصْفِيْقٍ حَارٍّ ..  
وَفِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ، رُبَّمَا تُصْبِحُ، بِطَرِيقَةٍ مَا، مِثْلِيًّا.  
إِنهَا طَرِيقَةُ الْبَعْضِ لِلانْتِقَامِ مِنْ آبَائِهِمْ.  
وَفِي حَالِ بَقِيَّةِ حَيَاتِكَ، لِسَنَوَاتٍ تَالِيَةٍ ..  
فَسْتَبْدَأُ بِالْبَحْثِ عَنْ مَنَافِذِ الرِّيحِ فِي رَأْسِكَ  
وَعَنِ الذَّنَابِ الْحَزِينَةِ، الَّتِي تُوَلَّدُ كَذَلِكَ ..  
وَعَنِ الْعُرَبَاءِ الَّذِينَ تَبَيَّتُ فِي أَسْرَتِهِمْ  
وَأَيْدِيهِمْ الْبَارِدَةَ تَحْتَ الْغَطَاءِ ..  
وَمَعَ الْوَقْتِ، تُصْبِحُ أَكْثَرَ يَأْسًا

وتتخلى تدريجيًا عن الرغبة في العودة للمنزل ..  
وقد تبدأ بحقن نفسك، أو الانتهاء بسباق الدرجات.  
وحينما تفكر في الحياة،  
فأنت ستعيش لعام آخر، على الأرجح.  
الثلاثون؟ تبدو بعيدة جدًا.  
وقد تُصرّ على الموت قبلها، مُتحررًا تقريبًا، نكايًا بوالدك.

وفي حال بقيت يقظًا، لسنواتٍ أخرى  
بفضل الأصدقاء، ربّما، أو المورفين ..  
فعلى الأرجح، ستكون ما تزال تعيشًا،  
بالرغم من كونك، على الأرجح أيضًا، ستكون قد غفرت لوالدك.  
لقد كان تعيشًا هو الآخر، وهذا كلُّ ما في الأمر ..

أصبنا بالتعاسة، بسبب آبائنا تقريبًا ..  
حتى حينما صرنا أكبر منهم  
وكنسنا فتات قلوبهم  
واثكؤوا علينا كعكاكيز من بلوط ..  
حتى حينما تضاءلوا، مثل ظلّ يتلعه النهار  
وتشبثوا يتامى، بأطراف أثوابنا، لتسامر معهم قليلًا ..  
كُنّا ما نزال نُعساء  
لأن أبا قديمًا تركنا ننمو في الظلّ  
وتعقن من الحزن في العليّة



وأخبرنا مرة - بينما يُلقم بندقيته -

أن الأبوّة عملٌ لا يناسبه،

وأنه تمنى لو لم يكن موجوداً ..

وسحبنا جثته ذات مساءٍ من النهر

وحين أفاق، لم يأسف سوى لبقائه حياً ..

أصبنا بالتعاسة، وهذا شيءٌ لا يمكنُ شرحه ..

فبينما نحنو بيدٍ على آبائنا المتكسرين،

المنكمشين في نهاية العمر

- مثل يتامى على زورقٍ مكسور -

نُكدسُ الأدوية في الخزائن

وتجاهلُ هذه المشارط على الرفِّ

وندفنُ الرغبةَ القديمةَ في مُشاهدةِ الأبِ مقتولاً ..

خاصةً حينما يُنادي بحُبِّ على أسمائنا.

# مُتَعَبِينَ، تُطَارِدُنَا أَحْزَانُنَا مِثْلَ سِرِّ خَائِفٍ ..

إلى أريج عبد الله، وإلى أخواتها  
.. إلى حُزْنِهِنَّ، خَصِيصًا إِلَيْهِ.

لم يُسَمِّنَا أَحَدٌ  
ولم يُعِرِّنَا أَحَدٌ أَسْمَاءَ أَبْنَائِهِ  
ومع الوقتِ، لم نَعُدْ نَعْرِفُ مَا هُوَ التَّرَقُّبُ  
حينَ كَانَتْ خُطَوَاتُ الْأَقْدَامِ الْمُتَعَبَةِ  
تمضي نحو أبوابِهَا ..  
ولم يحدثْ أَنْ طَرَقَ أَبٌ مُتَعَبٌ أَوْ ضَائِعٌ بَابِنَا، وَلَوْ خَطَا ..

وَدَرَّيْنَا لَيْلِنَا الطَّوِيلُ - بِحُزْنٍ بِالْغِ - أَلَا نَنْتَظِرُ أَحَدًا.

دَرَّيْنَا يَبَاسُ حُقُولِنَا  
وَالنَّهَارَاتُ الَّتِي تُشْرِقُ وَتُعْتِمُ دُونَ هَدَفٍ ..  
وَأَسْمَاؤُنَا الَّتِي تُسَيِّتُ - حِينَ غَفَا صَوْتُ الْأَبِ الْمُتَعَبِ - وَخَفَّتَ  
النَّدَاءُ ..

دَرَّيْنَا الصُّورَ الْمُعَلَّقَةَ عَلَى الْجِدَارِ

ألا نُحدِّقَ في عُيونِها  
وألا نتوقَّفَ طويلاً أمامَ المرايا ..  
وألا نتحسَّسَ الزمنَ الذي يتكلَّسُ فوقَ وُجُوهِنا  
كيلاً نُوقِظَ التَّدَمَّ الغافي  
حينَ ندركُ، بعدَ حينٍ، أنَّنا صرنا أكبرَ من آبائنا ..

مَنْ يَغْفِرُ الآنَ عُمْرَنا الطويلَ؟  
والأبُّ الذي وَرَعَ عَمْرُه الفائِضَ على أبنائِه  
ومضى يُورِجِحُ حُزْنَه بينَ يَدَيْه ..  
يُطالِعُنا الآنَ - بالحُزنِ ذاته -  
الذي يَنغرسُ مثلَ مِخلَبِ ذئبٍ في الحَاصِرَةِ ..

مَنْ يَغْفِرُ الآنَ عُمْرَنا الطويلَ؟  
وهذا الهواءُ في الرَّتَيْينِ هواؤُه  
والأحذيةُ أمامَ العَتَبَةِ على مَقاسِ قَدَمَيْه  
ولحنُ حَناجِرِنا الحزينةِ، بُحَّةُ صَوْتِه  
وحتى هذا الحُلمَ الذي يُؤنِسُ ليلَنا  
استِعارَةُ الأُنسِ من قلبِه ..

لكنَّ الأبَّ الذي سَحَبَهُ المَوجُ نحوَ ضِفافِ بعيدَةٍ  
لم يُعَلِّمنا كيفَ نَكُفُّ عن انتِظارِه  
كيفَ نخرُجُ ليلًا إلى الشُّرُفاتِ  
دونَ أنَ ننشِجَ مثلَ البحرِ لحنًا حزينا

وكيف لا ننتظرُ عودتهُ في مركبٍ من تَعَبٍ ..  
وما أكثرَ ما انتظرنا في زوايا البيت  
ما أكثرَ ما انتظرنا صوتَ خُطواته تتقدّمُ ثانية عبر الحشائش ..

لكنّا نسينا أسماءنا  
وهرّمنا أكثرَ من أبٍ في صورة  
وصار لِحزّنا لحنًا مُغايِرًا  
وصرنا نخرجُ كُلَّ ليلةٍ إلى الشُّرفات  
لننشِجَ مثل البحرِ لحنًا حزينا ..

وكُنّا نعودُ مُتعبين  
تُطارِدُنا أحزاننا مثل سِرْبٍ خائفٍ  
وكُنّا نهمسُ: ربّما غدًا ..  
وفي آخرِ المساء  
كانت أحزاننا تغفو  
حين نُهدِدها - مثل طفلٍ ميت - في حُجُورنا  
وكُنّا نهمسُ: ربّما غدًا ..

لكنّ المراكبَ كانت ترجعُ كُلَّ نهارٍ  
وترسو بخَجَلٍ عند أقدامنا  
مثل مَنْ يُخرِجُ جيبهُ الفارغَ مُرتعِشًا أمامَ أيدي ممدودة ..

وكُنّا نخرجُ كُلَّ ليلةٍ إلى الشُّرفات

وننشجُ مثل البحرِ لحنًا حزيناَ ..

لكنَّ الأبَ الذي

- لم يُعلِّمنا كيف نكفُّ عن انتظاريه -

كان كُلاً بحار

يحنُّ لأضواءِ المنازلِ الصفراءِ

ويبكي سرًّا

عَتَمَةَ البحرِ في سَهَرِ المدينةِ ..

لكنَّ الأبَ

كان البحرَ حين ينشجُ لحنه

وكان ضوءَ المنارةِ

حين تُلوِّحُ لمركبٍ لا تراه

وكان حُزْنَ النساءِ الوحيداتِ

وصمتَ المواليدِ الميتين على الملاءِ البيضاءِ ..

كان صمتَ الحياةِ، وكان نحيبها

كان كُلاً هذا الجُرْعَ على المياهِ ..

وفي الضفافِ البعيدةِ

كان يجلسُ مُنصِتًا

لنشيجِ البحرِ، نشيجِ بناته

وتلتهبُ عُيُونُهُ كُلَّ حينٍ من مِلْحِ الدُّمُوعِ ..

# وحياتنا، يا ابنَ العَمِّ، مثقوبةٌ .. لا تُبحرُ

ليسَ لدينا أمّهات،  
بل خطايا  
حصَى فوقَ الدُّروبِ  
ومِلْحٌ، في الجُرُوحِ القديمة ..

ليسَ لدينا أصدقاء  
بل صَدَى طويل،  
بعد ندائنا ..  
وأطياف  
تغادر  
ولا تعود ..  
ومقاعد،  
نُعيْرُها للعابرين ..  
ونهاياتُ فارغة،  
للانتظاراتِ الطويلة ..

وليسَ لدينا آباء،  
يا ابنَ العَمِّ ..  
بل ذكرياتٌ قديمة

عن أناس  
جالسين عند البحر،  
أناسٍ غادروا  
مع البحر..  
أناسٍ  
مثل قوارب الصيدِ القديمة  
تشرّدُ في كُلِّ بحر،  
مثل العَيْمِ  
مثل الأسماءِ الضائعة ..  
أناسٍ  
مثل قواربِ الصيدِ القديمة  
لا تعودُ إلى المرافئ  
إلا حالما  
يُشرّدُ عن المدينة  
كُلُّ سُكَّانِ المدينة ..

وليسَ لدينا حياةٌ  
يا ابنَ العمِّ ..  
حياتُنَا مَثْقوبَةٌ  
لا تُبَجِرُ ..  
أقدامُنَا  
غائصةٌ في الرَّمْلِ ..  
وأحلامُنَا،  
مثل الثيابِ المُستعارة

لا تجيءُ أبدًا على مَقَاسِنَا ..

أجدادُنَا  
لا يحملُون الحكايا  
وأمهَاتُنَا  
نَسِينَ الخُبْرَ  
فوقَ الجمرِ ..  
نسينَ كُلَّ جِرَارِ المَاءِ  
عند النَّبعِ  
وشردنَ مع النَّسُورِ.

آبَاؤُنَا  
يا ابنَ العَمِّ  
كانوا الذَّنَابِ  
التي أَكَلَتْ قَطِيعَنَا ..  
وكانُوا الآخِرِينَ  
الذين أَعَارُوا عَلِينَا ..  
آبَاؤُنَا  
كانوا دائِمًا الآخِرِينَ ..  
وظَهُّورِنَا،  
كانتْ دائِمًا مَكشُوفَةً ..

وأنا  
يا ابنَ العَمِّ،



كُنْتُ النَّايَ  
الَّذِي أَضَاعَ أَيْنَهُ ..  
وَكُنْتُ النَّهْرَ الَّذِي بَكَى  
وَسَقَى الْآخَرِينَ  
مِرَايَتَهُ ..

ولهذا  
أضاعتُ أمهاتنا  
جرارهنَّ  
لما شَرِينَنِي ..  
وشردنَّ ..

كُنْتُ الْمَنَارَاتِ  
الَّتِي دَلَّتْ قَوَارِبَ الصَّيْدِ الْقَدِيمَةَ  
عَلَى مِرَافِقِ أُخْرَى،  
كُنْتُ الْمَنَارَاتِ  
الَّتِي مَنَحَتْهَا الْمَنَافِي ..

ولهذا  
أضاعَ أبَاؤُنَا  
الطَّرِيقَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ  
وشردوا ..  
وشرد سُكَّانَ الْمَدِينَةِ ..

كُنْتُ النَّبِيِّ  
الَّذِي أَضَاعَ تَأْوِيلَهُ ..

وَكُنْتُ الْمَغْنِي  
إِذْ أَلْقَى صَوْتَهُ  
حَمَامَاتٍ لِلرَّيْحِ  
وَاسْتِعَارِ  
أَصْوَاتِ الْآخِرِينَ ..

وَكُنْتُ شَاعِرَ الْقَوْمِ  
إِذْ هَجَا قَوْمَهُ  
وَرَاخَ يِقْتَاتِ  
عَلَى فُتَاتِ الْآخِرِينَ ..  
وَكُنْتُ أَنَا  
يَا ابْنَ الْعَمِّ  
الشَّاعِرَ الَّذِي  
نَسِيَ وَحْيَهُ ..  
نَسِيَ وَزْنَ قَصِيدِهِ  
وَرَاخَ يَكْتَبِ  
فَوْقَ أَوْزَانِ الْآخِرِينَ.

## حَتَّى النهر .. يَتَمَنَّى أَن يَجِفَّ

كُلَّ مَسَاءٍ يَضَعُ اللَّيْلُ يَدَهُ اللَّيْنَةَ فِي يَدِي،  
وَيَبْكِي بَارْتِجَافٍ مِثْلَ طِفْلِ صَغِيرٍ ..  
وَأَنَا أَنْصِتُ  
لِلَّيْلِ الَّذِي يَبْكِي  
لَأَنَّ الصَّبْحَ يُغَادِرُ دَوْمًا  
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ.

يَقُولُ اللَّيْلُ بِحُزْنٍ هَادِرٍ:  
يَبْدُو الصَّبَاحُ مِثْلَ حُلْمٍ.  
حَيْثُ أَسْمَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ صَوْتَ خُطَوَاتِهِ  
تُغَادِرُ عَبْرَ الرِّوَاقِ ..  
وَحِينَ أَنْهَضُ، لَا يَكُونُ مَوْجُودًا.

يَقُولُ اللَّيْلُ أَيْضًا عَنِ النُّجُومِ: لَيْسَتْ حَشْرَاتٍ مُضِيئَةً  
بَلْ دَمَعٌ أَوْلَتْكَ الَّذِينَ انْتَحَرُوا فِي صِبَاهِمِ.

فَكَّرْتُ فِي صِبَايَ أَن أُصْبِحَ نَجْمَةً  
حَيْثُ إِنِّي مَيَّالٌ لِأَنَّ أَصِيرَ كَثِيرًا  
وَأَنَّ اللَّيْلَ لَا يُهْدِهُدُ رَجْفَةَ الْحُزَنِ فِي قَلْبِي

وأني مثل جريح الحرب، أموتُ، وأصحو ..  
وأني أحلمُ، حين أقفُ أمامَ النهر  
بجسدي يطفو فوقه ..  
لكن أحدَ الأصدقاءِ ينادي  
فأعودُ لأحتفلَ بصخبٍ في الداخل.

أتذكّرُ أحيانًا امرأةً بالأبيض والأسود  
تُشبهُ وميضًا فوق الجسر ..  
وتحدّثُ عنها النهرُ أيضًا  
وعن ذلك الضوءِ في عيونها  
وعن رغبتها في العيشِ طويلًا ..

كانت تريدُ أن تُجرّبَ الوُصولَ، يقولُ النهرُ ..  
لذلك تركتُ جثتها تطفو  
للنهرِ ضفافَ كثيرة  
وأحيانًا، لا يصلُ المرءُ إلا ميتًا.

يظنُّ النهرُ ألا أحدَ يُنصتُ إليه،  
لكنني أراه، في تلك المساءاتِ المشبوبةِ بالعرقِ  
يخرجُ مُرتجفًا من أعماقه،  
تاركًا آثارَ خُطواته المُبلّلة فوق العُشب.

حتّى النهرُ، يتمنى أن يجفَّ

وَأَنْ يَكُونَ بِاتْتِظَارِهِ أَحَدٌ مَا  
حِينَ يَعُودُ مَحْمُومًا  
وَأَنْ يَحْمَلَهُ مِثْلَ طِفْلِ إِلَى سَرِيرِهِ  
أَوْ إِلَى تَابُوتِهِ ..

يَحْلُمُ النَّهْرُ بِتَابُوتِ يَيْتَسُمُ فِيهِ  
وَحَشْدٍ مِنَ الْعَطَشَى يُشَيِّعُونَ جَنَارَتَهُ.

أَسْمَعُ بَعْضَ الْبُكَاءِ أحيانًا  
وَأَقُولُ: لربّما النَّهْرُ يَبْكِي، مِثْلَ ذَنْبِ ضَائِعٍ.  
وَأُخْرِجُ فِي بَعْضِ الْمَسَاءِاتِ بَاحِثًا عَنْهُ  
وَقَلْبِي قَنَدِيلٌ يُوَشِّكُ أَنْ يَنْطَفِئَ ..  
وَأَرَاهُ، يَخْتَبِئُ عَارِيًا بَيْنَ الشَّجَرِ الْوَارِفِ ..  
وَأَسْأَلُ النَّهْرَ عَنْ أُمِّهِ، وَعَنِ الطَّرِيقِ إِلَى مَنْزِلِهِ ..

فِي الْبَدءِ، كُنْتُ أَظُنُّهَا نَجْمَةً، نَسِيَهَا اللَّيْلُ خَلْفَهُ، يَقُولُ النَّهْرُ ..  
لَكِنِّهَا كَانَتْ أُمِّي، وَكَانَتْ تُشَبِّهُ وَمِيضًا فَوْقَ الْجُسُورِ ..  
وَحَاوَلْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنَاقَهَا، لَكِنِّهَا أَخَذَتْ تَطْفُو فَوْقَ السَّطْحِ.

كُلُّ مَسَاءٍ أَعُودُ لِلْمَنْزِلِ حَزِينًا،  
وَأَفَكِّرُ بِالنَّهْرِ، وَبِالْأَمْهَاتِ اللَّاتِي يُومِضْنَ فَوْقَ الْجُسُورِ ..  
وَأَغْفُو فَوْقَ الدَّرَجِ، أَوْ فَوْقَ كُرْسِيِّ خَشْبِي ..  
وَحِينَ أُسْتَيْقِظُ أحيانًا  
لَا تَكُونُ الْمَدِينَةُ مَوْجُودَةً  
وَاللَّيْلُ قَدْ غَادَرَ لَوْقَتِ طَوِيلِ

والنهرُ الذي يُحبُّ أن يُغيَّرَ وُجْهَتَهُ، أو هيئَتَهُ ..  
يمضي هارِناً بين الشُّجيراتِ، هارّاً ذيلَهُ.  
وأَتصوّرُ دَمِي الحارَّ مَسفوحاً، أَمَامَ العَتَبَةِ.  
مشهدٌ واحدٌ، وينتهي العالمُ، مشهدٌ أخيرٌ ..

لكنّ امرأةً رماديةً تُومِضُ أحياناً في أحلامي  
وتسحبني نحو الظلِّ  
وتُغلقُ الأدرَاجَ على سكاكينِ المطبخ  
وتمنحني قلباً أخضراً، نسيه الخريفُ وراءه.

وأوشكُ أن أقول:  
أحلمُ بامرأةٍ رماديةٍ  
تُومِضُ في أحلامي.  
لولا أنني أغفو على الدَّرَجِ  
وأستيقظُ أحياناً في فراشي.

# حَلَقُ مُكْتَظُّ بَرْنَاءِ طَوِيلِ.

إلى والدي، الذي تتأكلُ  
عظامُه بفعلِ السَّرطَانِ،  
والحياةِ المَريرةِ، والوُقُوفِ  
الطويلِ.

لا أُريدك طيفًا  
أو ظلًّا  
أو وميضًا في الذاكرة.  
لا أُريدك عابرًا  
خفيفَ الظلِّ  
في المَنَاماتِ البعيدة.  
لا أُريدك رَمَادًا في جِرَّةِ  
أو كتابَةٍ على شاهد  
أو مَرَارًا، هناك، على الناصية.  
ابق هنا  
الوُحُوشُ عادتُ  
لتختبئَ  
تحتَ سريري.

وأنا عدتُ طفلكَ  
الذي يتعثَّرُ في المشي  
والكلامِ،  
وعاد ظليّ  
لا يُريدُ أن يفارقَ  
ظلكَ.

سأعيدُ لكَ العُمرَ  
من أوَّلِهِ،  
ستعودُ شابًّا  
بِقَدَمَيْنِ

لا تتقاعدان عن المشي  
ودمٍ مُتجدِّدٍ.  
ابقِ هنا،

بعِظَامٍ صحيحةٍ  
أو مُتأكِّلةٍ

بجَسَدِكَ المعطوبِ  
وقلبِكَ الهَشِّ  
بغضبيكَ السريعِ  
وعُيوبِكَ الصغيرةِ.

ابقِ هنا،

لا لتُنقِذَ العالمَ  
أو تُبدِّلَ زيتَ الشمسِ  
أو تساعدَ الشتلاتِ على النُّمُوِّ،



إنَّمَا،  
أَبَقَ هُنَا،  
هَكَذَا فَقَطْ،  
أُرِيدُ أَنْ أُنْظَرَ إِلَيْكَ ..  
وَأَنْتَ تُحَدِّقُ بَعِيدًا  
فِي النَّافِذَةِ.



جَرَّبَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَقَالَ:

لَا، لَمْ أَكُنْهَا ..



## يقولُ بأنه ذاهبٌ؛ ليلعقَ جراحَه ..

منُ مركبٍ لمركبٍ  
لم نكفَّ يوماً عن حَزْمِ الحقائقِ  
والشتاءاتِ الكثيرةِ التي قضيناها دونَ موقدٍ  
والغرباءِ الذين يلهثونَ عَطَاشِي فوقَ آبارِ أجسادِنَا  
ويتركونَ ثمنَ الخُبزِ على الطاولةِ ..

لم نكنُ مُغرَمينَ، كُنَّا حزانِي ..  
ولهذا قضينا المساءاتِ كُلَّهَا معاً.  
وبالدمِ الذي يتخثرُ في عُرُوقِنَا من اليأسِ  
كُنَّا نجلسُ فوقَ الأرضِ العاريةِ  
ونبدأُ بالكتابةِ ..

وعرفنا كيف تخرجُ هذه الوحدةُ كُلُّهَا من العظامِ  
وكيف نُهرَعُ في الليلِ إلى الأسيرةِ باكينَ،  
وكيف ننامُ، ونحنُ نضعُ أيدينا على قلوبنا ..  
لنكتَمَ أنينها.

دخلنا إلى الغدِ بصُعوبةِ  
كَمَنْ يدخلُ إلى غرفةٍ مليئةٍ بالغبارِ ..

ومثل جُنُودٍ مَهْزُومِينَ  
طَرَقْنَا أَبْوَابَ طُفُولِنَا .. من حينٍ لآخر  
وارتمينا فوقَ أحضانِ أمهاتنا.

وفي أزمِنَةٍ كهذه،  
حين يكونُ الحديثُ عن الحربِ أمرًا غيرَ مُستَحَبِّ  
- كأنها شيءٌ تجاوزَهُ العالمُ،  
على الرَّغْمِ من أن هَدِيئَهَا يُسْمَعُ من النافذة -  
نقولُ بأننا سُعراءُ،  
ونبدأُ بالحديثِ عن الفَقْدِ  
وعن أمهاتنا اللواتي هَجَرَتْنَا في الطُّفُولَةِ  
وحين لا يكفي هذا لتبريرِ أحزاننا  
نخترعُ أمهاتٍ زرقاواتٍ يظهرنَ في الليلِ  
وأشخاصًا كُثُرًا نسكنُ أجسادَهُم  
ونبدأُ بالشكوى من الأصواتِ في عُقولنا  
وبالحديثِ عن الكآبةِ، يصبِحُ كُلُّ شيءٍ كافيًا.

لم نكنْ مُغرَمِينَ، كُنَّا حَرَائِنِ  
وفي القطاراتِ التي تغادرُ - مثلنا - دومًا  
يجلسُ الصَّمْتُ بيننا ..  
وحين ينعكسُ النهارُ على النافذة  
نُشيرُ للطقسِ ..

ولم يسأل أحد الآخر عن وجهته  
ولا عن حاجته للرفقة ..  
كُنَّا تَتَّبِعُ بَعْضُنَا دُونَ امْتِنَانٍ  
وَتَشَارِكُ السَّجَائِرَ  
وَنَقُولُ بَأَنَّا سُعْرَاءُ، فِي حَالِ الْحَدِيثِ عَنِ أَحْرَانِنَا ..

رَأَيْتُ الْغَزْلَانَ وَهِيَ تَتَحَرُّ فِي عَيْنَيْهِ  
وَرَأَقِبْتُ مَعْصَمَهُ وَهُوَ يَنْزِفُ فِي الرِّوَاقِ الْبَارِدِ  
وَحِينَ رَفَعْتُ جَسَدِي بِصُعُوبَةٍ؛ لِأَشِيرَ إِلَيْهِ  
سَأَلْتُهُ عَنِ شَكْلِ جَنَازَتِهِ  
فَهَمَسَ بِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْزِفَ حَتَّى يَمُوتَ  
حَتَّى تَذْهَبَ اللَّحْظَاتُ التَّعْيِيسَةُ كُلُّهَا بَعِيدًا  
عِنْدَهَا، أَسْتَطِيعُ حَرْقَهُ مِثْلَ كَوْمَةٍ مِنَ الْقَشِّ.

لَمْ نَكُنْ مُغْرَمِينَ  
تَحَدَّثَ مَرَّاتٍ عَنِ الْمَطَرِ  
وَعَنِ الْخُلْدِ الَّذِي يَحْفَرُ فِي قَلْبِهِ  
وَقَالَ بِأَنَّهُ اصْطَادَ طَائِرًا  
عِنْدَمَا كَانَ طِفْلًا  
وَأُصِيبَ بِالذَّعْرِ حِينَ لَمْ يُحَلِّقْ مَجْدَدًا ..  
وَفِي اللَّيْلِ  
يُغَادِرُ أَوْلًا

يقولُ بأنه ذاهبٌ؛ ليُلْعَقَ جراحه ..  
تحدّث مرّاتٍ عن شكلِ جنازته  
وقالَ بأنه اصطادَ نفسه  
حينَ كانَ طفلاً  
ولم يحظَ حينها سوى بعزاءٍ بسيطٍ.



## وكان صوت حيايته القديمة .. يرنُّ في ذاكرته

قال: لا أذكرُ أيَّ شيءٍ كُنْتُه، قبلَ أن أُصيرَ ظلًّا.  
وقَفَ أمامَ المرآةِ، عارياً .. عارياً تماماً. مثلما ينبغي لظلٍّ أن يكون.  
أخذَ يُقلِّدُ الأشياءَ كُلَّها..  
صارَ كرسيًّا، وقال: لا أذكرُ رائحةَ الخشبِ القديمِ .. لم أكنه.  
صارَ مشجَبًا، وأخذتِ المعاطفُ تتدلَّى من رَقَبَتِهِ.  
صارَ بابًا، وأخذَ يُغلِّقُ كُلَّ حينٍ، دونَ أسبابٍ واضحة..  
صارَ ستائرَ لا تمنعُ الليلَ من التدقِّقِ..  
صارَ ليلاً يهبطُ الدَّرَجُ، ويختفي في العتمةِ،  
جَرَّبَ الأشياءَ كُلَّها، وقال: لا .. لم أكنها.

وقَفَ عارياً أمامَ المرآةِ  
وكانت حيايته تُرشحُ من السَّقَفِ  
وجدرانُ البيتِ القديمِ .. كانت تُشبهُ ثوبًا مُرقَعًا.

وجدَ جثةَ رجلٍ تستريحُ على الكنبِ، وقال:  
لربَّما كانت جثَّتِي.  
فَحَصَّ معصمَهُ المذبوحَ بسكِّينِ الفاكهةِ، وقال:  
يبدو مألوفًا.

راقبَ نظراتِهِ المثبتةَ على شيءٍ مجهولٍ، وقال:  
لربَّما كُنْتُ حزينًا وقتها .. لا أتذكرُ، ولا أفهمُ .. لكن، لربَّما كُنْتُ حزينًا.  
يذبحُ المرءُ نفسه، أحيانًا، حينَ يكونُ حزينًا.

رَفَعَ ذِرَاعَهُ الْمَتَدَلِّيَةَ، وَجَلَسَ قَلِيلًا ..  
أَنَاسٌ دَاخِلُونَ ..  
أَنَاسٌ خَارِجُونَ  
أَنَاسٌ يَأْتُونَ وَيَذْهَبُونَ ..  
وَكَانَ هُوَ، جَالِسًا هَكَذَا .. لَا يَأْتِي، وَلَا يَذْهَبُ.

أَنَاسٌ يَبْكُونَ فِي زَوَايَا الْبَيْتِ كُلِّهَا ..  
أَنَاسٌ يَسْرِقُونَ أَشْيَاءَ الْمَيِّتِ الْقَدِيمَةِ  
أَنَاسٌ يَحْمِلُونَ الْجَثَّةَ، وَيَمْضُونَ خَارِجًا ..  
أَنَاسٌ يَتَسَلَّلُونَ، وَاحِدًا وَاحِدًا ..  
مِنْ حَيَاتِهِ الْقَدِيمَةِ،  
إِلَى اللَّيْلِ الْمُتَعَبِ فِي الْخَارِجِ.

صَارَ بَابًا، وَانْغَلَقَ فَجَاءَ وَرَاءَهُمْ، دُونَ أَسْبَابٍ وَاضِحَةٍ.  
صَارَ أُمَّا حَزِينَةً، وَأَخَذَ يَرْقُبُ، مِنْ وَرَاءِ النَّافِذَةِ، خُطَوَاتِهِمِ الْمَبْتَعِدَةِ.  
صَارَ يَدًا، وَجَرَّ السُّتَائِرَ بَعْنَفٍ، صَارَ يَدًا، وَأَغْلَقَ النَّافِذَةَ وَالْأَبْوَابَ  
الْمَشْرَعَةَ وَالْمَصَابِيحَ الْمُضَاءَةَ.  
صَارَ عَتَمَةً، وَالتَّحَفَ الْبَيْتَ الْقَدِيمَ .. صَارَ وَحِشَةً، وَأَخَذَ يَرْفُرُ فِي  
الْجَوِّ.

بَدَا سَعِيدًا تَمَامًا ..  
وَكَانَ صَوْتُ حَيَاتِهِ الْقَدِيمَةِ يَرْنُ فِي ذَاكِرَتِهِ ..  
وَقَفَّ أُمَامَ الْمَرَاةِ عَارِيًا تَمَامًا .. مِثْلَمَا يَنْبَغِي لظُلِّ أَنْ يَكُونَ .. وَقَالَ:  
الآن .. الآن أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَجَوَّلَ فِي الْمَنْزِلِ ..  
دُونَ أَنْ أَلْفَ مِئْرًا حَوْلَ خَصْرِي.

## اخرج الآن، أيها الوحيد ..

اخرج الآن،  
أيها الإنسان الوحيد ..  
البشر صاروا  
شواهد قُبُور.  
المصاييح المكسورة  
أخفت عذاباتها  
والعالم الذي لا تُحب ..  
يرزح  
في العتمة.  
اخرج الآن،  
أيها الوحيد  
النجوم البعيدة  
انطفأت ..  
الدرب خالية  
من الخطوات القديمة.  
و الأمهات ..  
أيها الوحيد،  
صرت كذبات بيضاء ..  
وأنت لم تسقط

من هاوية،  
لستَ تاريخاً  
ولا شَعْباً،  
لستَ امتداداً ..  
إنك الجوعُ الكامل  
للوحد،  
وأنتَ الضوء  
الذي يُبعث  
من نفسه ..  
اخرج الآن  
أيها الوحيد ..  
رَبِّ عذابِ الحياة  
كُلَّها.

واحملُ جَسَدَكَ  
الميت  
في المِعْطَسِ.  
فالبشرُ التُّعساءُ  
غادِرُوا ..  
والنُّدُوبُ القديمة  
تماهتُ  
مثل الذكريات  
في الأمكنة الخالية.  
افرشِ ظِلَّكَ

على الطُّرُقَاتِ كُلِّهَا  
وامضِ حَافِيًا،  
فهذا العالم  
صار لك.  
والحياةُ القديمةُ  
تُغَادِرُ الآنَ  
في زَوْرِقٍ مَثْقُوبٍ.

# الإنسانُ الأكثرُ شَبَهًا بِكُرْسِيِّ مُدَوَّلِبٍ ..

١- لم تكن له أقدام

حين وُلِدَ،

بل شرائطُ ملوَّنة.

ولم يكن يعرف

أن للإنسان

قَدَمَيْنِ

يسيرُ بهما ..

لذا،

كان يظنُّ نفسه

هديةً ..

وكلَّ عيد

كان يربطُ شرائطه

ويتنظرُ أن يفتحه أحد ..

٢- لم يكن يعرفُ أيضًا

أن شخصًا ما أوجده

وكان يُصدِّق حكايةً قديمة

عن لُقْلُق،

يُحْضِرُ الأَطْفَالَ

من صَدَقَاتِ البَحرِ ..

وكان يظنُّ أن النوم

يعني العوِدة

إلى الوَطَنِ القَديمِ ..

وكان وِطْنُهُ بَحرًا

وأُمَّهُ صَدْفَةٌ ..

وحين كان الشَخصُ

الذي أوجَدَهُ

يُهدِهُدُهُ لِينام

كان يذهبُ للبَحرِ

ويقفز ..

ولم يكنُ أحدٌ،

يفهَمُ رَغبَتَهُ ..

٢- كان صديقًا

للَعَبَّاتِ القَديمَةِ ..

وكان لا يفهَمُ

لماذا لا يُصادقُ أحدٌ ما

عَتَبَةٌ

أو يدعوها للخُروجِ معه ..

وكان يجلسُ دائماً بجوارِ البابِ  
و فهمُوا جُلُوسَه  
على أنه رغبة  
في المغادَرة.  
و حين سُئِلَ عن أُمْنِيَّتِه  
قال إنه يريدُ أن يصير  
مصباحًا،  
وقال إنه تزوّج عَتَبَةَ  
و يريدُ أن يسطعَ عليها ..  
ولم يكنُ أحد  
يفهمُ حديثَه  
فقالوا جُنَّ  
لأنه لم تكنُ له أقدام  
وكان يظنُّ وطنَه بحرًا  
وأمه صَدَقَةٌ  
وقالوا شيئًا  
عن كونه ليسَ إنسانًا ..  
و حين سألهم ما يكون؟  
قالوا:  
رغبةٌ قديمة  
في المغادَرة.

٤- مرّة سمعَ صوتًا  
فقال بأن للأصوات



ألواناً وروائح ..  
وقال بأن الناس  
أشكال هندسيّة ..  
ولم يكن أحد يفهم حديثه ..  
لكنّه تابع:  
بأنّ للبحر  
صوتاً رمادياً  
وأنه يبكي  
لأنه أضع حبيبة قديمة ..  
وقال بأن البحر حزين،  
لأنه كلّما أحبّ صبيّة  
وذهب إليها  
غرقت فيه ..  
وقال بأن البحر،  
لم يرد  
أن يصير بحرًا  
بل عبّة قديمة ..  
وإنه تمنّى  
لو أن له حبيبة  
تُشبه ضوءًا  
يسطع عليه.

٥- كان البكاء عنده .  
يُشبه القفز ..

ولأنه لم تكن له أقدام  
بل عَجَلَات ..  
ولم يكن إنساناً  
بل كُرسياً مُدَوِّلباً.  
كان كلما رغبَ في البكاء  
وَقَفَ على حافة  
وطلَّبَ من أحد  
أن يدفعه ..  
ولأن أحداً  
لم يكن يفهمُ حديثه ..  
كانوا يتركونه واقفاً  
هكذا،  
على الحواف  
والشُرُفات المفتوحة ..  
لذلك،  
لم يكن يبكي..  
كان رغبةً قديمةً  
في البكاء.  
وفهمَ لأول مرة حديثهم  
وعرفَ معنى  
ألا يكونَ لديه أصدقاء  
وَألا يكونَ إنساناً  
بل كُرسياً مُدَوِّلباً..

## حين تكونُ حزينًا منذُ الولادة ..

حين يكونُ العالمُ قدرًا  
بما يكفي ..  
وتُنكِرُ الأمّهاتُ أطفالهنَّ  
مثلما يُنكِرُ شخصٌ ما  
يدًا مقطوعةً  
كانتُ له ..  
حين لا يكونُ للأبناءُ آباء  
بل عقباتُ ..  
وحين لا ينتحرُ الأصدقاء  
إلا حالما يصيرون أصدقاءك  
حين يتبخرون  
أو يختفون  
أو يموتون في حوادثٍ عشوائيةٍ ..  
إذا ما قرّرتَ أن تُمضيَ معهم  
حياةً كاملةً.  
حين تختفي فجأةً  
الأيادي كُلُّها  
وعباراتُ التّرجي  
والنّظراتُ الدافئة ..

إِذَا مَا قَرَّرْتَ  
أَنْ تَقْفَرَ مِنْ نَافِذَةٍ.

حِينَ يَكُونُ مَا يُبْقِيكَ حَيًّا  
هُوَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ بَعْدَ،  
كَيْفَ سَتَأْخُذُ جَسَدَكَ مَعَكَ ..  
وَأَيْنَ سَتَذْهَبُ أَصَابِعُكَ  
وَتُؤَوِّاتُ جَسَدِكَ  
وَرَبَطَاتُ عُنُقِكَ الْمُفْضَلَةَ،  
وَإِنْ كَانَتْ قَدَمُكَ  
الَّتِي لَا تُحِبُّهَا،  
سَتَرْقُصُ حَوْلَكَ فَرَحًا  
حِينَ تَمُوتُ.  
إِنْ كَانَتْ مِثْلَكَ  
لَا تَحِبُّكَ أَيْضًا ..  
وَسَتَخْلَعُ نَفْسَهَا مِنْ جَسَدِكَ  
وَتَمْضِي،  
حِينَ تَمُوتُ.

حِينَ يَكُونُ مَا يُبْقِيكَ حَيًّا  
هُوَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ بَعْدَ  
مَاذَا سَتَفْعَلُ بِجَسَدِكَ  
حِينَ تَمُوتُ ..

وكيف أنكَ  
حتى وإن كنت أحياناً  
تكره جسدك  
وقدمك اليسرى،  
وبُحَّة صوتك  
وشَعْرَكَ القصير  
الذي لا ينمو ..  
وعينيك اللتين تريان دائماً  
أشياء لا يراها أحد ..  
إلا أنك تعرفُ أيضاً  
كيف سيجعلك حزيناً،  
أن يصير جسدك  
جثةً يائسة ..  
برائحة موتِ رمادية  
وقدمٍ واحدة.

حين تكونُ حزيناً  
منذُ الولادة،  
ومنذُ الولادة أيضاً  
لم ترغبُ بشيء  
غير أن تصيرَ وحيداً.  
أن تفقدَ عائلتكِ كُلَّها،  
في حادثٍ مثلاً ..  
أن تغرقَ البلادُ في حرب،

و يُسْتَدْعَى زملاءُ الدراسة  
للجندية،  
ويصيرُوا أشلاءً ..  
أن تبتلع الأرضُ أبناءها  
أن يختفي الناس  
وتُحلَّقَ وحدك ..  
هكذا،

في عالمٍ خالٍ  
من البشر  
والأمهات ..  
حين يكونُ كلُّ ما تُريده  
هو أن تموت  
لكن؛  
ليسَ كما يموتُ الناس.  
وأن تحيا  
لكن،  
ليسَ كما يحيا الناس ..  
حينها فقط،  
قد يكونُ الشَّعْرُ حلاً.

# رَوْضُ قَلْبِكَ

مثل كلبٍ مُطِيعٍ

رَوْضُ قَلْبِكَ ..

على المسافاتِ الطويلةِ

بين الحياةِ

وبينكَ ..

على الفراغِ

بجانِبِكَ في السريرِ

وكرسيِّ الباصِ

والمقهى ..

على غدائِكَ السريعِ

الذي تأكُلُهُ واقفًا

في عُجَالَةٍ.

على الحُبِّ

الذي تجترِعُهُ

في عُجَالَةٍ

برشْفَةٍ واحدةِ

كأنَّه

فنجانُ قهوةٍ،

مُرَّ.

على التُّقُوبِ فِي قَلْبِكَ

وَيَدَيْكَ

على الأَشْخَاصِ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ

وَالْأَشْيَاءِ

الَّتِي تُحِبُّهَا

حِينَ تَتَسَاقَطُ،

مِنْ قَلْبِكَ ..

وَيَدَيْكَ.

على الحَيَاةِ

الَّتِي تَجْتَازُكَ كُلَّ مَرَّةٍ

مِثْلَ قَطَارٍ،

يَتَحَرَّكُ دَوْمًا

قَبْلَ أَنْ تَتَّصِدَ إِلَيْهِ ..

على النُّومِ المُتَأَخَّرِ

وَالصَّخْوِ المُتَأَخَّرِ

على العَلَامَاتِ المُتَدَيِّئَةِ

وَالكُرْسِيِّ الأَخِيرِ

فِي الصَّفِّ ..

وَالحَيَاةِ.

على أَمِّكَ

حَتَّى أَمِّكَ

الَّتِي تُنَادِيكَ دَائِمًا



باسمِ آخر ..  
وعلى حبيبتك  
التي تنام،  
في فراشِ غيرك ..  
على الخسارات ..  
رَوْضُ قَلْبِكَ،  
مثل كلبٍ مُطِيعٍ ..  
رَوْضُ قَلْبِكَ.

# أغلق الباب، وترك نفسه تطرق في الخارج

( إلى راسم العوكلي بكُلُّ هذه الهاوية في قلبه. الهاوية التي يُطلُّ منها على ذاته )

يرمي كُرَّةً إلى قلبه  
ويهتفُ: الحقُّ بها ..  
ثمَّ يختبئُ من خياله.

يرمي بقعةً ضوءٍ على ظلِّه  
ويقولُ: لا تتبغني  
يرفعُ الغطاءَ عن قلبه  
ويَسْكُبُهُ من النافذة  
بِكُلِّ ما فيه  
من مُدُنٍ وحبيبات  
وشوارعٍ منسيةٍ ..

يسحبُ أنفاسَهُ من ذرَّاتِ الهواءِ  
يستعيدُهَا من أنفاسِ الآخرين  
ويُخبئُهَا في آنية.

يُغلقُ عَيْنَيْهِ على نظراتِهِ  
يجمعُ نظراتِهِ

من فوقِ الأرصفة  
أعمدةِ الإنارة  
الأبنيةِ القديمة  
وأجسادِ النساءِ الجميلات ..  
النساءِ الجميلاتِ جدًّا  
الحزيناتِ جدًّا ..

يجمعُ نظراته ويقولُ:  
يا إلهي، لماذا كُلِّمًا خُلِّقَتْ امرأةٌ جميلة  
مَزَجْتُهَا بِالْأَسَى؟  
لماذا خَلَقْتَ هؤلاءِ النسوةِ الجميلاتِ كُلُّهُنَّ؟  
هؤلاءِ النسوةِ الجميلاتِ كُلُّهُنَّ  
ولا واحدةٍ لقلبي؟

يقطفُ قلبه  
ويدفنه  
يرفعُ ظلَّهُ  
ويعيِّره  
أجنحةً للطُّيورِ المنكسة  
أغطيَّةً للمرايا  
وأشْرَعَةً، للمراكبِ القديمة ..

يخلعُ جلدَه  
ويُكَوِّمُه في زاوية

يترك قَدَمَيْهِ أَمَامَ الْعَتَبَةِ

وَيَمْضِي حَافِيًا

يَنْسَى قَلْبَهُ عَمْدًا

عَلَى طَاوِلَةِ الْمُقَهَى

مِثْلَ مُحَفَظَةِ نُقُودٍ ..

يَتْرُكُ جِزْءًا مِنْهُ فِي الْمُقَاهِي كُلِّهَا

فِي قُلُوبِ الصَّبَايَا الصَّغِيرَاتِ

وَالْحَقَائِبِ الْمَنْسِيَّةِ فِي الْمَحَطَّاتِ الْبَعِيدَةِ.

يَصَافِحُ كُلَّ عَابِرٍ

وَيَتْرُكُ جِزْءًا مِنْهُ فِي يَدَيْهِ

يَخْلَعُ نَفْسَهُ

وَيَقْفَرُ

يَصْرُخُ:

لِمَاذَا أَطْفُو، يَا إِلَهِي؟

لِمَاذَا لَا أُغْرَقُ؟

## بعيدًا عن المنزل

بعيدًا عن المنزل  
وحيثُ تغطّي رقائقُ ثلجٍ صغيرة  
حَرَخَ العالم  
الذي لا يعرفُ ماذا يفعل  
برأسه القاحل  
كلّما نَظَرَ لوجهه في صفحاتِ الماء  
وأدركَ أنه يتقدّمُ في السنّ.  
بعيدًا عن المنزل  
حيثُ الشتاءُ ما يزالُ في أوّله  
وحيثُ العالم  
يُغلقُ أبوابه على صخبه  
ويجلسُ قربَ نفسه بهُدوءٍ  
مُصغيًا إلى صمته ..  
بعيدًا عن المنزل  
حيثُ يكسو الدّفء  
واجهاتِ النوافذ  
وحيثُ الألفَةُ التي تتضاعفُ  
- حينَ تجتمعُ العائلةُ -  
حولَ مائدةِ الطعامِ -

تَغْلَبُ عَلَى الصَّقِيعِ فِي الْخَارِجِ.

بَعِيدًا عَنِ الْمَنْزِلِ

وَحَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ، تَقْرِبًا

يَمْضِي بِشَكْلِ جَيِّدٍ

الشَّوَارِعُ هَادِئَةٌ

وَالْقَطَارَاتُ مُنْتَصِبَةٌ بِهُدُوءٍ

فِي الْمَحَطَّاتِ

الْأَيَادِي تَتَشَابَكُ بِحُبِّ

الْعَائِلَاتُ تَعُودُ مَعًا لِلْمَنْزِلِ

وَلَا أَحَدٌ يَخْرُجُ مِنْ حَانَةِ يَتَرَنِّحُ مِنَ الشَّقَاءِ ..

بَعِيدًا عَنِ الْمَنْزِلِ

بَيْنَمَا الْمَوْسِيقَى تَتَسَلَّلُ بِدَفْءٍ إِلَى الْأَنْفَاسِ

وَالرَّبُّ يُرَاقِبُ عَالَمَهُ بِرُضَى

كَانَتْ امْرَأَةٌ

بَعِيدًا عَنِ الْمَنْزِلِ

امْرَأَةٌ

زُرْقَاءُ وَيَابِسَةٌ

تَتَمَخَّضُ دُونَ أَنْيُنِ

تَسْحَبُ جَسَدَهَا

بِهْدُوءٍ

نَحْوَ جِرَافَةٍ قَدِيمَةٍ

مَدْفُونَةٍ فِي الثَّلْجِ

لَتَمُوتَ

دُونَ نَدَمٍ

في الباحة الخلفية لمنزل العالم  
عيناها تنطفئان بهُدوء  
وقلبها ليس عاتبًا، لكونه منسيًا.  
دمها  
وردة حمراء في الثلج  
وطفلها  
الذي وُلد ميتًا  
- كي لا يُبدد صراخه  
اتزان العالم ...  
أولى أمارات الربيع.

# يا أجيالنا القادمة

اسمعُوا

اسمعُوا

يا أجيالنا القادمة

أنتُمْ، أيها المحتلُّون الصغار

الذين سيجلسون على مقاعدنا

كأنَّها مقاعدُهُم

يستخدمونَ أشياءنا

بينونَ منازلَ فوقَ أراضٍ نملكُها

يجدونَ صُورنا القديمةَ ورسائلَ حُبنا

ثمَّ يركلونها بضجرٍ ..

كشيءٍ قديمٍ ومُتكرَّر.

أصعُوا لي

على الرغِمِ من أننكم

ستكونون غير شَعُوفين بنا

وإذا ما سمعتم صوتًا

لشاعرٍ من زمنٍ مضى

يصرخُ: اسمعُوني، يا أجيالنا القادمة

فإننكم لن تُبالوا به ..



لن تنهافتوا نحو صوتهِ  
القادم من بعيد  
تعبًا ومُتقطعًا  
كأنهُ صوتُ إلهٍ يحتضر ..

لحظةً من فضلكم!  
إنّ صوتي هذا،  
سوف يصلُ إليكم واضحًا جدًّا  
درجةً أن تتأفقوا  
وتصمُّوا آذانكم عنه ..  
اسمعوني  
يا أجيالنا القادمة  
يا مُحتمليننا  
يا أوغاد ..

على الرغم من أنّكم  
- وكما قلتُ مرارًا -  
غيرُ شُعوفين بنا ..  
لن تقطعوا رحلاتٍ شاقّةٍ إلى الكهوف مثلًا  
فقط لتقرؤوا رسائلنا على الجدران  
وتلتقطوا صورًا ضاحكّةً بجوارها  
وأنتم تشكرون الله، أنّكم لم تعيشوا حياةً بدائيّةً مثلنا

هذا لأننا، يا أوغاد،  
لم نعش حياةً بدائيةً أبدًا  
- لقد فاتكم ذلك! السخرية من الأجيال السابقة  
لعبتنا المفضلة.-

حتى وإن كنا عشنا حياةً ضجرةً جدًا  
كحياة أيّ امرئٍ في القرنِ الواحدِ والعشرين  
حيثُ الناسُ  
الناسُ كلُّهم

ومن سدةِ الضجر  
يُدخنونُ أنفسهم  
وينشغلون طوَالَ حَيَوَاتِهِمْ  
بشيءٍ واحدٍ وحسب:

ترك رسائلَ للأجيالِ القادمة.  
لقد تركنا كلَّ شيءٍ خلفنا  
لقد رحلنا إلى عوالمنا الأخرى  
خفافاً

وتركنا أشياءنا كلها أمام أعينكم  
تحت وسائلكم، وعلى طاولاتكم.  
ولهذا تبدون غير شعُوفين بنا  
حيثُ كلُّ شيءٍ في حيواتنا  
تركناه مخزناً على أقراص  
كلُّ ضحكةٍ، كلُّ همسةٍ، كلُّ تنهيدةٍ  
حرصنا أن نغزوكم بها.

لقد غرؤنا كُلَّ شيء  
بلداناً وأفكاراً وفضاءاتٍ ومجراتٍ شمسيّة

وعوالمٍ رَقميّةٍ وكواكبٍ من غازٍ وضَجَرٍ.

لقد سافَرنا إلى كُلِّ شيء

بأجنحتنا العملاقةِ ومُحرِّكاتنا النُّقائِة

وحتّى بأعيننا الصغيرةِ واللامرئيّةِ

نَجحنا بالتسلُّلِ إلى أنفسنا ..

لقد عشنا في عالمٍ مُمتلئٍ بكلِّ شيء

لكن، في النهايةِ

ومن شدّةِ الضَّجَرِ

كان كُلُّ واحدٍ منّا

يدخلُ إلى أيِّ حمّامٍ عُموميّ

ويقتلُ نفسه،

بجرعةٍ زائدةٍ من الهيروين.

لكن، مهلاً

يا أجيالنا القادمةِ

وقبلَ أن تصرخُوا غاضبينَ

أنا أعرف،

بالتأكيدِ شاهدتمُ قصّةَ مُضجِرةٍ كهذهِ

على أحدِ الأقراصِ.

الأقراصِ الكثيرةِ

مخلّقاتنا

التي لو عثَرَ عليها شخصٌ منكم

لن يسارع أبداً، بحِفْظِهَا فِي مُتَحَفٍ

حَتْمًا سَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا رَجُلْ!

ارْمِهَا لِلْكَلبِ فِي أَيِّ شَارِعٍ

هناكَ الْكثيرُ مِنْهَا.

ولهذا أنتم غير شَعُوفين بنا ..

لكن، يجبُ أن تعرفُوا

يا أجيالنا القادمة

أنه حتّى نحنُ

أبناءَ القرنِ الواحدِ والعشرين

كانت لنا مآسِينا أيضاً

دَعُوكُمْ مِنَ الحُرُوبِ وَالزَّلَازِلِ وَالبراكينِ

هذه مآسٍ مُكرّرة.

لقد كانت لنا مآساتنا الخاصة

لقد فَقَدْنَا أصواتنا ..

إننا الجيلُ الأوّلُ

من البشرِ الفاقدينِ أصواتهم

حيثُ كُلُّ شيءٍ يمكنُ أن يبدأَ أو ينتهي

بضغطِ زرٍّ.

كُلُّ شيءٍ يمكنُ أن يحصلَ

دونَ أن يغادرَ المرءُ فراشه ..

الحُبِّ،

الحربِ

العملِ

إنجابُ الأطفال ..  
وحتى الإلقاء بشخصٍ ما في السجن.  
لكم أن تتخيّلوا  
يا أجيالنا القادمة  
أننا نحن  
أبناء القرن الواحد والعشرين  
وبدلاً من أن يحكي المرءُ قصّته لحفيده ..  
يكتفي بإهدائها له  
على شريطٍ مُصوّر

## (أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا)

أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا؟  
إِنَّهُ أَمْرٌ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ،  
بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا،  
الَّتِي تَسْتَعْمِدُهَا لَوْصَفِ اضْطِرَابِكَ،  
وَفَزَعِكَ مِنْ خُطُوطِ يَدَيْكَ  
وَالخَجَلِ الَّذِي يُصَاحِبُ صَوْتَكَ  
حِينَ تُعَدِّدُ مَرَّاتٍ انْتِحَارَكَ،  
وَتَشْكُو  
لِحَشْدٍ لَا تَعْرِفُهُ،  
مِنْ ذَاتِكَ الْآخَرَى،  
الَّتِي تَحَاوِلُ أَنْ تَقْتَلِكَ ..  
أَنْ تُوسَمَ بِالْغَرِيبِ  
الَّذِي يَمْشِي عَلَى ضَوْءٍ،  
وَيَجْرَحُهُ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ حِينَ يَمُرُّ  
الَّذِي يُحْدِقُ فِي خُدُوشِ الْجِدَارِ  
وَيَقُولُ:  
مِنْ هُنَا تَخْرُجُ الْقِصَائِدُ ..  
مِنْ مَكَانٍ فِي قَلْبِي،

يُشْبِهُ هَذَا.

أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا؟

جَرَّبْ،

- قَبْلَ أَنْ تَبَاهَى بِذَلِكَ -

أَنْ يَأْتِيكَ الشُّعْرُ

فِي مَكَانٍ عَامٍّ،

أَنْ تَغْصَّ فِي قَصِيدَةٍ،

وَأَنْتَ تَعْبُرُ شَارِعًا

أَوْ تَمُرُّ وَسَطِ حَشْدٍ،

أَوْ تَشْرَبُ كَأْسًا،

بِرَفَقَةٍ أَصْدِقَاءِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ،

الَّذِينَ لَا يَأْبَهُونَ بِالشُّعْرِ.

جَرَّبْ، أَنْ تَحَاوَلَ يَأْسًا

أَنْ تُبْرَّرَ

لِمَا كُنْتَ تَقْفِزُ

وَتَصْرُخُ

وَتَكْسِرُ الْأَشْيَاءَ

وَتَشْتَمُ الْعَالَمَ

وَتَجْرِحُ نَفْسَكَ.

لِمَاذَا كُنْتَ تَتَلَوَّى هَكَذَا

فِي طَرِيقِ عَامٍّ،

وَأَنْ الْأَمْرَ لَيْسَ أَنَّكَ مَجْنُونٌ

أَوْ مُصَابٌ بِالصَّرَعِ

أَوْ بَمَرَضٍ فِي الْأَعْصَابِ ..  
لَسْتَ نَائِرًا  
وَلَمْ تُحَاوِلْ أَنْ تَحْرِقَ نَفْسَكَ  
فِي شَارِعِ عُمُومِيَّ،  
وَأَنْ الْأَمْرَ كُلَّهُ،  
لَا يَعْدُو،  
أَكْثَرَ مِنْ قَصِيدَةٍ  
تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ ..



## لو أنّك لم ترحل عن الفجر ..

إلى أيمن ساعي، مرّةً ثالثةً.

لو أنّك لم ترحل عندَ الفجر  
ولم تغادر  
كضوءٍ خافت  
يزحفُ في الممشى ..  
لو أنّك كنتَ أقلُّ نُبلًا  
بما يكفي  
لأن تخبئ  
كلّما سمعتَ دويًّا  
أو صراخًا  
بدلًا من أن تطلّ  
من النوافذِ والخنادقِ كلّها  
بقلبٍ ممدودٍ للرصاص  
كأنه مطرٌ خفيفٌ ..  
لو أنّك كنتَ أقلَّ تعبًا  
بما يكفي  
لأن تمشيَ عمرًا كاملًا  
دون أن تُغريك الأرصفة

باستراحاتها القصيرة

التي لا تكفي

مَنْفِيًّا مِثْلَكَ

لأن يستردّ حتّى،

أنفاسه ..

لو أنّك لم تُحبّ البلادَ كما يجب

لو أنّك لم تُحبّ البلاد ..

أو لو أنّك كُنْتَ تُحِبُّهَا،

لكن؛ أقلّ

بما يكفي

لئلا تنتحر

برصاصةٍ في القلب

في أحدِ المنافى.

لو أنّك كُنْتَ أَقْلَ زُهْدًا

كيلا تقول:

شَكَرْنَاكَ عَلَى الرِّصَاصِ

مثلما شَكَرْنَاكَ عَلَى المَطَرِ

امنحنا خوفنا القديم

كأن نعود إلى المنزل

متأخرين قليلاً

وظلّ غريب ..

يتبعنا.

نُحِبُّ أَحْرَانَنَا الكُبْرَى، ولكن،

امنحنا حُرَّتنا القديم  
وتَعَبنا القديم  
وخوفنا القديم.  
نشكرك على المنافي الخضراء  
ولكن،  
نريدُ بلادنا اليابسة  
وخُبْرنا اليابس ..  
نريدُ بلادنا، ولو كانت يابسة.  
نشكرك على الشَّيع،  
ولكننا  
نريدُ جوعنا القديم  
وخُبْرنا اليابس.  
لو أن نومك كان أثقل قليلاً  
كي لا تصحو عند الفجر  
ونحنُ نيام،  
نربِّي حلمنا الوحيد.  
لو أنك انتظرت قليلاً  
حتى تُشرق الشمس  
ويخمد حُزنُ البارحة  
لو أنك غنيت لقلبك  
حتى ينام.  
وقلت:  
نشكرك على المنافي والبلاد

وأرضِكَ الواسعة.  
لو أَنَّكَ لم ترحلَ عندَ الفجرِ  
مثل نُورِ خَافِتٍ في المَمْشَى  
لتموتَ  
برصاصةٍ في القلبِ،  
وأنتَ تقول:  
أشكركَ على المنفى  
ولكن،  
أريدُ بَلَدِي القديم.

كَمَنْ اِكْتَشَفَ - دُونَ عَمْدٍ - سِرِّ الْآخِرِ ..



# وَمَنْ يِرَاكَ الْآنَ، يَا وَجَةَ الْعَالَمِ الْمَتَغَصَّنِ

رَأِينَاكَ  
وَأَنْتَ تَهْبِطُ الدَّرَجَ الْمَكْسَّرَ  
لِتَدْفِنَ - خَلْسَةً - النِّسْلَ الْحَزِينِ ..  
رَأِينَاكَ  
وَأَنْتَ تَبْكِي دَمًا  
عَلَى بِنَاتِكَ  
اللاتِي يَذْرَفُنَّ تَارِيخًا ثَقِيلًا  
مِنَ الْمِلْحِ.  
بِنَاتِكَ اللاتِي  
يَتَمَدَّدُ الْأَلْمُ فِي أَحْشَائِهِنَّ  
مِثْلَ الْأَرْقَةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي ..  
بِنَاتِكَ اللاتِي  
يَهْبِطُنَّ مِثْلَكَ - خَلْسَةً - الدَّرَجَ الْحَجْرِيَّ  
وَيَدْفِنُنَّ خِرْقَ قُلُوبِهِنَّ الْمُدْمَاةَ.  
رَأِينَاكَ حَتَّى فِي التَّذْكَرِ  
وَأَنْتَ تُقَلِّبُ الصُّورَ الْحَزِينَةَ  
لِبِنَاتِ بِاسْمَاتِ فِي الْمَهْدِ  
بِنَاتِ بَاكِيَاتِ فِي الْمَهْدِ

بناتٍ يتطلَّعنَ في وجهِ العالمِ

يتطلَّعنَ في وجهك ..

ومثل العالمِ كُنْتَ، كُنْتَ أَنْتَ، كُنْتَ بِيَدَيْكَ هَاتَيْنِ، وبِيَدَيِ الْعَالَمِ ..

تُحِبُّ فِي قُلُوبِهِنَّ الْحَزْنَ، تُحِبُّ، عَامِدًا أَوْ غَيْرَ عَامِدٍ، فِي لَمَعَةِ عِيُونِهِنَّ

الانطفَاءِ الْمُمْكِنَ كُلَّهُ ..

رَأْيُنَاكَ وَأَنْتَ تَشْهَدُ انْكَسَارَ الْغَصَنِ، رَأْيُنَاكَ وَأَنْتَ تَكْسِرُهُ، وَرَأْيُنَاكَ،

وَأَنْتَ تَجْرُ نَدْمًا ثَقِيلًا وَتَقُولُ: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ.

لَيْتَنِي لَمْ أَنْبِتْ أَغْصَانًا، سَيَجِيءُ يَوْمٌ، لَأَكْسِرَهَا .. بِيَدَيِّ هَاتَيْنِ.

لَيْتَهُ كَانَ وَأَدَا، يَا بَنَاتِي ..

لَيْتَنِي، مِنْذُ خَمْسِينَ حُزْنَ مَضَى ..

قَتَلْتُ نَفْسِي نَائِمًا

وَتَرَكْتُ نَسْلِي الْيَابِسَ يَذْبُلُ فِي أَحْلَامِ الْمَخِيلَةِ ..

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ، وَلَيْتَكُنَّ مَا كُنْتُنَّ، مَنْ يُوقِفُ الْآنَ هَذَا النِّزْفَ؟

هَذَا الدَّمِ الْأَحْمَرَ الَّذِي يَكْتَسِحُ الْعَالَمَ

يَنْتَقِمُ مِنْ حُزْنِهِ الْمُكْدِّسِ، حُزْنِهِ الْمُقْدَّسِ، بَوْلَادَاتٍ كَثِيرَةٍ ..

رَأْيُنَاكَ

وَأَنْتَ تَنْشُجُ بِصَوْتِ مَجْرُوحٍ

مِثْلَ أَبْوَابِ الْكِنَائِسِ الْمَهْجُورَةِ

وَأَنْتَ تُنَادِي فِي لَيْلٍ حَزِينٍ

غُرْبَانَ الْقِيَامَةِ

لَتَقْتَلَ نَفْسَهَا

وَتَدْفِنَ الْعَالَمَ ..

رَأْيُنَاكَ



أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْفِيُّ  
وَأَنْتَ تَجُوبُ الشَّوَارِعَ الْغَرِيبَةَ وَحَدَّكَ  
وَأَنْتَ تَطُوفُ، لَا كَمَلِكٍ سَابِقٍ، لَا كَنَهَارٍ سَابِقٍ، بَلْ كَلَيْلٍ، كَانَ طَوَّلَ  
حَيَاتِهِ لَيْلًا، وَرَاحَ يَجُوبُ الْأَرْقَةَ مُعْتِمًا، وَيُطْفِئُ الْعَالَمَ ..  
رَأَيْنَاكَ وَأَنْتَ تَبْكِي  
مِنَ الْكِبَرِ، لَا مِنَ الْوَهْنِ ..

تَبْكِي مِثْلَ حِجَارَةِ الشَّوَارِعِ الْعَتِيقَةِ  
حِينَ تَتَكَسَّرُ عَلَى نَفْسِهَا .. مِنَ الْعُمْرِ الطَّوِيلِ.

رَأَيْنَاكَ تَبْكِي وَاقْفًا  
مِثْلَ أَعْمَدَةِ الْمَعَابِدِ  
حِينَ تَتَذَكَّرُ عُمْرًا قَدِيمًا  
وَقْتَ كَانَ النَّاسُ  
- الْمَبْعَثَرِينَ الْآنَ -  
مِثْلَ قَطِيعِ خِرَافٍ يَتَوَّهُ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ -  
لَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ طَلْبِ الْمَغْفَرَةِ.

رَأَيْنَاكَ  
وَأَنْتَ تَنْظُرُ يَا سَا  
وَالْبَشْرُ يَتَكَاثَرُونَ وَيَتَسَاقَطُونَ مِثْلَ مَطَرٍ حَزِينٍ ..  
وَتَتَذَكَّرُ،

أَوَّلَ نَبْتِ شَجِّ وَجْهِ الْعَالَمِ الْمُتَحَجِّرِ  
وَابْتِئِقْ نَحْوَ الشَّمْسِ ..  
رَأَيْنَاكَ تَتَمَنَّى خُلْسَةً

لو كُنْتَ طَمَرَتَ هَذَا الْحُلْمِ  
لو كُنْتَ قَتَلْتَ أَوْلَى الْوِلَادَاتِ  
وَوَقَفْتَ مِثْلَ نَبِيِّ، يُنْقِذُ شَعْبَهُ، الَّذِي لَمْ يَأْتِ، مِنْ أَنْ يَأْتِيَ ..  
وَوَادَتِ أَوْلَى أُمَّ، أَوْلَى بِنْتِ، أَوْلَى شَيْءٍ حَيٍّ، قَدْ قَرَّرَ اكْتِسَاحَ الْعَالَمِ ..

أَيُّهَا الْمَاشِي وَحِيدًا  
عَلَى امْتِدَادِ الزَّرْقَةِ الْبَحْرِيَّةِ  
وَوَجْهَكَ الْأَسْمُرُ يَلْمَعُ تَحْتَ الشَّمْسِ  
وَأَعْضَاؤُكَ كُلُّهَا تَبْكِي  
مِنَ الْكِبَرِ لَا مِنَ الْوَهْنِ ..  
مِنَ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ  
الَّذِي ظَلَّ يَتْرَاكُمُ فَوْقَ عِظَامِكَ  
مِثْلَ الْكِلْسِ عَلَى جِدْرَانِ الْمَعَابِدِ ..  
تَبْكِي، مِنْ نَسْلِكَ الْمُتَأَلِّمِ، تَبْكِي لِأَجْلِ نَسْلِكَ الَّذِي يَتَأَلَّمُ ..  
نَسْلِكَ الَّذِي يَكْتَسِحُ الْعَالَمَ  
مِثْلَ سَرْبِ جِرَادٍ يَخْفِقُ فَوْقَ النَّافِذَةِ ..

تَبْكِي  
أَيُّهَا الْمَاشِي وَحِيدًا  
مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يُكَدِّسُ حُزْنَهُ فِي قُلُوبِ بَنِيكَ، وَأَبْنَاءِ الْبَشَرِ كُلِّهِمْ، أَيُّهَا  
الْمَاشِي وَحِدَهُ، بَنُوكَ.  
وَأَنْتَ تَبْكِي، وَأَنْتَ تَمْشِي، عَلَى امْتِدَادِ هَذَا الْمَوْجِ الْحَزِينِ، وَيُؤَلِّمُكَ  
امْتِلَاءُ الْعَالَمِ.

في الشمسِ، في الشمسِ التي يشعُّ ضوؤها، على وجهك، ويخفتُ

..

في الشمسِ التي تذهبُ وتجيءُ ..

مثل شخصٍ يتجولُ في الرواق ..

في هذي الشمسِ نفسها، شمسِ طفولتِكَ ..

كُنْتَ تُخَبِّرُ أَحْلَامَكَ

وعواءَكَ الذي تُرسلُهُ إليها خافتًا ..

عواءَكَ الأكثرَ عَمَمَةً، الأشدَّ ظلمَةً، عواءَكَ الذي يجيء من عمقِ

قلبك، حين تُطلقه - إذا أطلقته - كأنَّ شخصًا يضربُ بفأسِهِ على

جدرانِ قلبِكَ ..

وأنتَ تُخَبِّرُ عواءَكَ في الشمسِ، بأشدَّ خُفوتٍ مُمكن ..

خاشيًا على البشرِ الحالمين، لا على نفسك، أن يعرفوا أن حزنًا مماثلًا

يركضُ بين جدرانِ العالم .. يسكنُ بين جدرانِ قلبِكَ ..

خاشيًا على البشرِ

- إذا سمعوا عواءَكَ -

أن يتحطموا في أماكنهم

مثل تماثيلٍ مصروعة.

وَكُنْتَ تلجأُ للكهفِ الباردِ في قلبِكَ

كُنْتَ تشعُّ سمارًا وحبَّاتِ عَرَقٍ وحياءَ دافئة

لكنَّ قلبَكَ كان صقيعًا، وَكُنْتَ تلجأُ إليه ..

كُنْتَ تنكفئُ مثل يتيِّم، مثل كنيسةٍ تُغلقُ أبوابها .. وتبكي نفسها،

لنفسها ..

كُنْتُ تَنكفِيْ مِثْلَ نَبْتِةٍ تَلْفُ أَعْصَانَهَا وَأوراقَهَا ووجهَهَا المتورِّدَ ..  
وتطلبُ العودَةَ إلى التراب.

كنتَ، وأنتَ صبيٌّ يجوبُ أزقةَ الحَيِّ حافياً ..

- ومَنْ يراكَ الآنَ، يا وَجَهَ العالمِ المتعصَّنِ

لا يقدرُ أن يتخيَّلَ هذا الوجهَ شابًّا -

لكنَّكَ كُنْتَ صبيًّا

وكُنْتَ تجوبُ الأزقةَ حافياً

وكُنْتَ

- مثل الصَّبِيَّةِ الفارغينِ تماماً من المشقَّةِ -

ترفعُ رداءَ الجاراتِ العجائزِ

وتنطلقُ هاربًا من فَوْجِ الشتائمِ ..

لكنَّكَ كُنْتَ

وأخذتَ تكبرُ كُلَّ عامٍ

ويتجعَّدُ قلبُكَ ..

لكنَّكَ كُنْتَ ..

وها أنتَ تقفُ الآنَ

على امتدادِ وَجهِ العالمِ البَحْرِيِّ

وتبكي هذا الحُزْنَ المُكْدَّسَ.

# والبحرُ فينا، هو الذي كان يبكي

إلى راسم العوكلي - الذي وُلدَ  
كبيراً - إلى الطفلِ الذي كَانَهُ،  
تحديداً ..

ثمّة زرقَةٌ كانتُ في عَيْنَيْهِ، تَوْفًا نَحْوَ الْبَحْرِ، نَحْوَ شَيْءٍ بَعِيدٍ  
وكان سيمضي، كُنْتُ أَعْرِفُ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ كَانَتْ تَتَهَدَّلُ عَلَى كَتْفَيْهِ  
وكان يجرُّها ..

وفي عَيْنَيْهِ، كُنْتُ أَلْمَحُ دَوْمًا ظِلَّ شَيْخٍ كَبِيرٍ  
ومن حينٍ لآخر، كان يهْمَسُ:  
التعبُ، لم تبقِ كَلِمَاتٌ لَوْصَفِ هَذَا التَّعَبِ ..

مرّةً رَأَيْتُهُ يُنْزِعُ حَيَاتَهُ  
وَبَدَتْ مُتَعَبَةً مِثْلَ كَلْبٍ يَحْتَضِرُ  
مرّةً أُخْرَى  
رَأَيْتُهُ جَالِسًا فَوْقَ تَلَّةٍ مِنْ مَوْتٍ  
ويخجلُ كان يبكي  
ويُقَلِّبُ بَيْنَ يَدَيْهِ عُصْنًا صَغِيرًا وَطَوْقًا بَالِيًا  
ويخجلُ مضيت

كَمَنْ اِكْتَشَفَ، دُونَ عَمْدٍ، سِرَّ الْاٰخِرِ  
وَلَمْ يَقُلْ اٰحَدُنَا شَيْئًا ..

وَالْبَحْرُ فِيهِ، كَانَ يَهْدُ اٰحِيَانًا، وَحِيْنًا، كَانَ يَعْصَفُ ..

لَكِنَّه كَانَ يَظْهَرُ اٰحِيَانًا، وَكُنْتُ اَعْرِفُ  
اَيَّ مَوْجٍ كَانَ يَتَقَلَّبُ فِيهِ الْبَارِحَةُ  
وَحِيْنَ كُنَّا نُوْحَدِّقُ مَعًا نَحْوَ شَيْءٍ بَعِيْدٍ  
كُنْتُ اَلْمَحُ عَرَقِي كَثِيْرِيْنَ  
يَرْسُوْنَ عَلٰى شَطْرَانَ قَلْبِيْهِ  
وَكَانَ ذَاكَ الصَّمْتُ يعلُوْ وَجْهَهُ  
صَمْتُ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ لِلجَنَازَةِ ..

وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ اٰحَدًا  
كُنَّا نَسِيْرُ مُهْدَلِيْنَ  
مِثْلَ ظِلِّ الْمَسَاءَاتِ،  
حِيْنَ يَمْرُؤٌ تَحْتَ الشَّجَرِ الْيَابِسِ  
وَاٰحِيَانًا، كَانَ الْخَوْفُ يُرِيْ مُرْتَعِسًا  
فَوْقَ شِفَاهِنَا ..  
حِيْنَ يَسْطَعُ ضَوْءُ الْمَنَارَةِ  
عَلٰى وُجُوْهِنَا ..

وَكَانَ ثَمَّةَ بَحْرٍ يَفْصَلُ بَيْنَنَا

ثُمَّ بَحْرٌ، يَصِلُ بَيْنَنَا  
وَيَعِيرُنَا سَجَنًا خَفِيًّا  
حِينَ يَهْبِطُ طَيْرٌ فَوْقَ أَفْرَاحِهِ  
وَتَذَكَّرُ، مُرْعَمِينَ، وَحَشَّةَ بِيُوتِنَا ..

وَالْبَحْرُ فِينَا، هُوَ الَّذِي كَانَ يَبْكِي ..

وَلَمْ يَكُنْ لَنَا آبَاءُ  
وَفِي الْأَيَّامِ الْمُمِطِرَةِ  
كَانَتْ أَبْوَابُ مَنَازِلِنَا  
تَرْتَعِدُ مِنَ الْفَقْدِ  
وَكُنَّا نَرْتَعِدُ أَيْضًا  
تَحْتَ الشَّرَاشِفِ  
حِينَ يَعِيدُنَا الْمَاءُ إِلَى طُفُولَتِنَا  
وَحِينَ تُذَكِّرُنَا لِسَعَاتِ النَّارِ فِي الْمَوْقِدِ  
بِأَبٍ لَا يَجِيءُ  
وَكُنَّا نَبْكِي، حِينَ نَلْمَحُ اللَّيْلَ  
يَتَسَلَّلُ زَاحِقًا مِنَ الْبَابِ الْمَوَارِبِ  
لَكِنَّ أَحَدَنَا، لَمْ يَكُنْ يَقُولُ شَيْئًا ..  
وَالْبَحْرُ فِينَا، هُوَ الَّذِي كَانَ يَبْكِي ..

وَلَمْ نَكُنْ نَتَحَدَّثُ

كان يجلسُ غائماً  
يتحسُّسُ برعدةٍ سَكِينًا صغيراً في جيبه  
ومن حينٍ لآخر  
كان يمضي نحوَ شيءٍ بعيدٍ  
وكُنْتُ أَتبعُهُ ..  
ذاتَ مرّةٍ مضى نحوَ البحرِ  
وعلا ذاكَ الصّفيرِ  
الذي يُشبهُ صفيرَ قطارٍ  
يحملُ الجُنُودَ إلى الجبهةِ  
وكُنْتُ أعرفُ، قبلَ أن يمضي، أنَّه لا بدَّ سيمضي  
لأنَّ الحياةَ لم تكنْ على مِقياسِهِ  
ولأنَّه الوحيدُ، الذي، حينَ وُلِدَ باكياً، كان يعني بكاءه  
لأنَّه الوحيدُ الذي - منذُ الولادة - كان يبكي من تَعَبٍ  
ولم يكنْ في جنازَتِهِ أحدٌ ..

لكنَّ البحرَ - الذي هو صوتهُ - كان يَعِصِفُ  
والحياةُ، مع ذلكَ، كانتْ تمضي في طريقها  
وعلى جانبِ الطريقِ، كان شخصٌ ما يعرفُ لحناً حزيناً  
وعَدَّتْ أعراسُ المدينةِ غائمةً  
وكان البحرُ يصلُ  
والطُّيورُ تتساقطُ بتَعَبٍ على رُجاجِ النوافذِ ..  
لكنَّ الحياةَ، مع ذلكَ، كانتْ تمضي في طريقها  
ولم يعرفِ الناسُ أيَّ حُزْنٍ كانتْ المدينةُ تبكيه ..  
تلكَ الليلةِ.



## وتبكي بكاء السّاهي عن جنازته ..

أعرفُ هذه النهايات  
أعرفُ خطوها  
وأعرفُ تَعَبَ الإنسان  
حين يُسَلِّمُ نفسه للبحرِ، للمَشَانِقِ على أغصانِ الكُرُومِ .. وللعُمُرِ  
الطويل.

ماذا نفعلُ الآنَ بِمَرَكَبٍ يُحِرُّ دُونَ وَجْهَةٍ؟  
والمنافي التي رافقتْ إيقاعَ خطواتنا فوقَ الدُّرُوبِ  
والمدينةِ المُتَعَبَةِ  
وأثارِ العُرُوبِ

التي تلمعُ فوقَ وجهِ السارية ..  
كُلُّ شيءٍ بدأ أكثرَ وضوحًا  
والنايُ الباكي في قلبي  
لم يعدُ من قبلُ نحيبُهُ، كهذا النحيبِ  
ولم أقلُ شيئًا

إذ لا يوجدُ أكثرَ عُربةٍ  
من رجلٍ وسطَ البحرِ  
يُحدِّقُ في وجهِ السارية  
والعُرُوبُ يلمعُ على وجههِ أيضًا.  
ولم أقلُ أكثرَ ممَّا أردت

أَعْرِفُ تَعَبَ الْإِنْسَانِ  
وَأَعْرِفُ تَعَبِي  
حِينَ تَتْرَكُنِي الْمَنَافِي أَنْزَفُ فِي أَزْقَتِهَا  
مِثْلَ دَيْكٍ مَذْبُوحٍ  
وَحِينَ تُهْرِقُ الْحَيَاةَ دَمِي كَنَبِيذٍ عَلَى أَعْتَابِهَا  
وَحِينَ يَبْدُو لِي الْمَاضِي أَكْثَرَ وُضُوحًا  
حَيْثُ جَدْرَانُ الْمَنْزِلِ الَّذِي أَلْفَتَهُ  
بَدَتْ كَجَدْرَانِ الْمَلَاجِي

هنا، حيثُ كُنَّا نَنمو فِي الظَّلِّ  
وهنا، حيثُ كُنَّا نَسرُحُ مِثْلَ جِيَادٍ فِي أَحْزَانِنَا  
وهنا، فِي هَذِهِ الزَّوَايَةِ، حَيْثُ تَتَكَوَّمُ تِلْكَ اللَّيَالِي  
التي حَاولْنَا فِيهَا قَتْلَ أَنْفُسِنَا ..  
أَعْرِفُ هَذِهِ النِّهَايَاتِ،  
وَالْمُدُنَ الَّتِي رَقَصَتْ قَدِيمًا  
أَمَامَ خِيَامِ غَرَبَائِهَا  
ها هِيَ الآنَ تَهْتَرُ بِيَأْسٍ  
كُلَّمَا نَاحَ غَرِيبٌ حَيَاتَهُ عِنْدَ أَبْوَابِهَا  
وَتَبْكِي بِكَاءِ السَّاهِي عَنِ جَنَارَتِهِ ..  
وَأَعْرِفُ التَّعَبَ الْأَشَدَّ صِرَاوَةً  
مِنَ تَعَبِ الْمُدُنِ الْقَدِيمَةِ  
وَمِنَ تَعَبِ الْمُنتَحِرِينَ عَلَى أَغْصَانِ الْكُرُومِ  
وَمِنَ تَعَبِي

حين أخفيتُ فَرَحِي الطُّقُولِيَّ الخبيث  
يومَ الجنَازةِ  
ولَوَحْتُ للَمِيَتِ الشَائِبِ، ماضيٍّ، في تابوتِهِ ..  
ولم يُلَوِّحْ لي ..  
ولم يسبقُ أن بدا غاضبًا  
أكثرَ ممَّا كان في تابوتِهِ، تلكَ اللحظةِ.  
أعرفُ هذا الخوفَ  
وأعرفُ التَّعَبَ الأشدَّ صراوةِ  
حين ألمسُ برعدةِ أقدامِ المُنتحرينِ الباردةِ  
وأقولُ بأنِّي أعرفُ تَعَبًا آخَرَ  
تَعَبًا للأحياءِ، تَعَبًا صامتًا، تَعَبًا دافئًا ..  
حين يفتحون سُرفاتهمِ نهارًا  
ويرون البحرَ قبرًا واسعًا  
وأعمدةَ المعابدِ صلبانًا للخلاص ..  
حين يقفونَ مرارًا على الحوافِّ  
ويمرُّ ظلُّ العُيُومِ على وُجُوهِهم .. ولا يقفرون.  
أعرفُ هذه النهاياتِ  
وأعرفُ أيَّ حُزْنٍ تبعثُهُ فينا الجنائزُ  
حين تنصبُ لنا الحياةُ كُلَّ يومٍ شباكها  
فِيبيكينا الدفءُ ..  
فيما تتمنى أن تلتفَعَ بالبردِ، أيضًا  
مثل المُنتحرينِ كُلِّهم على الكُرُومِ ..

## مَنْ تَرَكَ الْأَشْجَارَ لِلرِّيحِ؟

أحيانًا في الليالي العاصفة، تمدُّ شجرةٌ عنقها من النافذة  
لكنَّ شخصًا مثلي، تُؤذيه الريحُ أيضًا  
يعرفُ أنه لن ينهضَ، ويحملُ الشجرةَ إلى سريرها.

مَنْ تَرَكَ الْأَشْجَارَ لِلرِّيحِ؟  
الأشجارُ التي تيبسُ كُلَّ حينٍ، كتعبيرٍ عن أحزانها ..

الذئابُ التي تتبعُ عواءها  
تصلُ أحيانًا إلى المصيدة  
والطُيورُ التي بلا أعشاش،  
تموتُ في النهايةِ على حافةِ الطريق  
وشخصٌ مثلي، سيبعدُ ذاتَ يومٍ أيضًا، عن منزله.

ذاتَ شتاءٍ هبَّتْ عاصفةٌ، واصطحبتْ أوراقَ الشجرةِ بعيدًا  
وشخصٌ مثلي، كان يقفُ في النافذةِ، ويعرفُ أنه لن يفعلَ شيئًا ..  
في اليومِ التالي ضَرَبَ غصنُ النافذةِ  
فيما شخصٌ في الأسفلِ كان ينثرُ رمادَ والدهِ فوقَ العتبةِ ..  
وفكرتُ: أريدُ جرةَ رمادٍ أنثرها، أنا أيضًا، مثلَ غيري.

لكن، يُولَدُ الناسُ دونَ آباءٍ أحيانًا  
والذي مثلًا، كان قطارًا، ومرَّ بشكلٍ خاطفٍ أمامَ حياتي.

هذا كُلُّه لا يعني لي شيئًا، لحُسْنِ الحظِّ ..  
لكن، أحيانًا، حين يملأُ البردُ العالمَ  
والمحُ غزالًا شاردًا يُحدِّقُ في ظَهري  
يغمزني إحساسٌ حزين  
وأفكّرُ: لو أني أيضًا أملكُ منزلًا، وأعودُ إليه ..  
حيثُ تلمعُ النيرانُ في الموقدِ  
وعلى مقعدٍ، تجلسُ أمٌ وتسرُّحُ - مثل الأمّهاتِ كُلِّهنَّ - كثيرًا ..

أحيانًا أفكّرُ بالشجرِ وبالغزلانِ الشاردة،  
وأحيانًا، حين يذوبُ الصقيعُ في قلبي  
أتمنى لو أرقُدُ بجانبِ شخصٍ ما  
وأحكي له، عن الصقيعِ الذي يذوبُ في قلبي ..

لكن، لحُسْنِ الحظِّ، لحظاتٌ كهذه لا تستمرُّ طويلًا ..

حظيتُ أنا أيضًا، ببعضِ الأصدقاءِ  
أحدُهُم كان يحبُّ أن يثرثرَ عن القطاراتِ، وعن هذه الرغبةِ في الموتِ  
أمامها ..

ذاتَ ليلةٍ قرَّرَ أنه من السهلِ، وبقفزةٍ واحدةٍ، أن يُنهيَ هذا كُلُّه.

أشياء كهذه تحدث طوال الوقت  
وشخصٌ مثلي، كان يعرفُ دومًا أنه لن يقدرَ أن يفعلَ شيئًا.

أحيانًا أصيرُ بحرًا  
وأطلبُ من الأصدقاءِ كُلِّهم أن يقفزوا  
وحين يترسَّبون في أعماقي  
أمضي للحانة، وأشربُ نخبًا مع أحزاني ..

صاحبُ الحانةِ لم يُلقي بي أبدًا إلى الخارج  
وأحيانًا، حين أسكرُ كثيرًا، أصبحُ كئيبًا بشكلٍ لا يُطاق  
وأبكي، حين أسكرُ جدًّا .. وأنادي صاحبَ الحانة: يا أمِّي ..  
أعدِّي لي عشائي، يا أمِّي  
وسأُتأخَّر في العودة هذه الليلة أيضًا، يا أمِّي ..  
أحيانًا لا يكونُ الأمرُ كافيًا  
فأطلبُ منه أن يجلبَ لي أمًّا أخرى  
امرأةً ما، أشمُّ رائحتها في الهواء  
امرأةً ما، تغسلُ ثيابي ..  
يحتاجُ المرءُ للأمهات أحيانًا  
هذا شيءٌ لا يمكنُ تجاوزه.

يقولُ الأصدقاءُ إنِّي أبدو مجنونًا  
كان هذا منذُ زمنٍ طويلٍ

حين كُنْتُ أَقْفُ عَلَى كُلِّ قَبْرِ مَهْجُورٍ  
وَأَسْمَعُ الْغَابَةَ تَصْرُخُ وَتَصْمَتُ مِنْ خِلَالِهِ،  
وَحِينَ كُنْتُ أَقُولُ بَأَنِّي لَوْ كُنْتُ شَيْئًا آخَرَ  
كُنْتُ سَأَكُونُ رَجُلًا تُتَلَجُّ الدُّنْيَا عَلَى جِثَّتِهِ،  
وَحِينَ كُنْتُ أُغْلِقُ النَّافِذَةَ بَدَلًا مِنْ أَنْ أَقْفَرَ مِنْهَا  
وَحِينَ كُنْتُ أَسْتَمَعُ لِبَكَاءِ الْمَيِّتِ فِي دَاخِلِي، وَأَبْكِي أحيانًا ..

لكن، لِحَسَنِ الْحِظِّ أَنْ الْإِنْسَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْعُمُرِ سَرِيعًا  
وَيَتَعَلَّمُ أَنْ يَقْتُلَ مَوْتَاهُ،  
وَيَتَجَاوَزَ بِيَسَاطَةِ الشُّعُورِ بَعْدَمَ الْحُبِّ  
وَالرَّغْبَةِ فِي أَنْ تَكُونَ لَهُ أُمٌّ، مِثْلَ غَيْرِهِ ..  
وَامْرَأَةً أُخْرَى تَضْحَكُ فِي سَرِيرِهِ، مِثْلَ غَيْرِهِ أَيْضًا ..  
وَيَتَوَقَّفُ عَنِ طَرْحِ الْأَسْئَلَةِ  
مِنْ أَيْنَ أَتَيْتْنَا، وَإِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ، وَمَاذَا نَفْعَلُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ فِي جُيُوبِنَا

..

أَشْيَاءُ كَهَذِهِ لَا تَهْمُ أحيانًا  
مَا يَهْمُ هُوَ أَنِّي تَوَقَّفْتُ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي انْتِحَارِي ..  
وَقَرَّرْتُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي  
أَنِّي أُرِيدُ، مِثْلَ الْآخَرِينَ كُلِّهِمْ، شَخْصًا أُصَلِّي نَحْوَهُ  
وَشَيْئًا آخَرَ: ابْنًا يَنْتَحِبُ فِي جِنَازَتِي

## لم يحبّ أحدُ الحديثِ عن الرفاقِ الميتين

أجيدُ الحديثَ كشخصٍ بارعٍ  
لكنّي أفضلُ روايةَ كُلِّ شيءٍ بعجالةٍ  
لأنّ الحزنَ يطفحُ مع المزيدِ من الثَّرةِ  
وأنا أحرصُ على إبقاءِ بئرِ قلبي مقفولاً ..  
في الماضي،  
عثرتُ على صديقٍ عرفتهُ تحتَ جسرٍ  
وقد اختارَ البقاءَ،

على الرِّغمِ من كونهِ أحدَ أولئك الذين ينتحرون يافعين ..  
قال: « هنا أو هناك، سأظلُّ أتألمُ دوماً. »  
وعلى عكسِ الذين علّقوا أنفسهم، أو قفروا في النهر  
وجدنا طريقةً للسيطرةِ على أحزاننا  
كانت تبجُ في الليلِ، وأحياناً تنطلقُ هاربةً في أحلامنا  
إلا أنّ ظلّها لم يكن ليتجاوزَ العتبةَ  
حتّى حين يكونُ البابُ مفتوحاً ..

مشيناً طويلاً، أكثر ممّا نحتملُ وأقلّ ممّا نريدُ  
عدّدتنا أنفسنا أحراراً، على الرِّغمِ من كوننا ضائعين.  
امتلكَ كُلُّ منّا ذكرياتٌ يصمتُ أمامها



عن طُفُولَةِ سَيِّئَةِ وَأَبٍ لَا نُحِبُّ تَذَكُّرَهُ  
وعن حُفْرَةٍ فِي الْقَلْبِ تَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَهَا  
وَأَصْدِقَاءَ مَا تُوِّا مِنْ شِدَّةِ الْيَأْسِ  
وقُلْنَا: سَافِرُوا مَعَ الْبَحْرِ..  
وعن الْحَنِينِ لِلْمَرَكَبِ، وَالْأَجْنَحَةِ، وَكُلِّ مَا يَحْمَلُ الْمَرْءُ بَعِيدًا.

لم نعرفِ الثَّرَثَةَ، وَاَعْتَدْنَا أَنْ نَكُونَ وَحِيدِينَ فِي أَحْرَانِنَا ..  
مَرَّةً أَشْرَتْ إِلَى يَرَاعَةَ تَمْرٍ، وَنَظَرَ بِدَوْرِهِ إِلَيْهَا  
وَمَرَّةً رَاقِبْنَا مَعًا ظِلَالِنَا، وَهِيَ تَطُولُ وَتَقْصُرُ، وَبَدَأَ عَلَيْنَا السُّرُورُ ..  
وفي بَعْضِ اللَّيَالِي

حِينَ نَنْتَهِي مُبَكَّرًا مِنَ التَّجَوُّلِ دَاخِلَ رُؤُوسِنَا  
نَبْدَأُ - كُلُّ بِمَفْرَدِهِ - بِتَذَكُّرِ الْأَرْوَاقِ الْمُظْلَمَةِ  
وَالْمَرَاهِقَاتِ الْمَكْتَتِبَاتِ اللَّوَاتِي يَتَضَاجَعْنَ بِيَأْسٍ  
وَالْعُيُونِ الْمُثَبَّتَةِ بِهَلْجٍ عَلَى مِثْلَاتِهَا أَمَامَ الْمَرَايَا  
وَصَرَخَاتِ الْفَزَعِ حِينَ يَلْمُسُنَا شَخْصٌ مَا خَطَأَ  
وَالْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ يَحْقِنُونَ أَنْفُسَهُمْ - بَوَهْنٍ - أَمَامَ عُيُونِنَا، وَلَا يَتَفَوَّهُ  
أَحَدٌ.

لم يَحِبُّ أَحَدٌ الْحَدِيثَ عَنِ الرَّفَاقِ الْمَيِّتِينَ  
وَعَالِبًا فَضَّلْنَا لَوْ أَنْكَرْنَا وُجُودَهُمْ  
لَمْ نَعُدَّ الْمَوْتَ بَطُولَةً وَلَا الْحَيَاةَ أَيضًا  
وَامْتَلَكْنَا أَقْدَارًا مَتَسَاوِيَةً مِنَ الْيَأْسِ وَالْحَزَنِ وَالضَّجَرِ

كيلا نُغَمِّضَ أَعْيْنَ الْجُثْثِ الْمُسْتَلْقِيَةِ تَحْتَ أَقْدَامِنَا، أَوْ نَصْرُخَ حِينَ  
اكتشافها ..

وسخرنا أحياناً من موتانا الذين امتلکُوا أحداً يبكي عليهم  
واتَّفَقْنَا على اعتبارِ الجنائزِ نوعاً كريهاً من التَّرفِ  
فيما راحَ كُلُّ مَنْنا يَتَمَنَّى بصمتٍ لو يحظى بواحدة ..  
تأخَّرْنَا في الخارجِ لوقتٍ طويلٍ، لأننا لم نملكِ منازلًا نعودُ إليها  
وتحلُّينا بالصمتِ لوقتٍ أطولٍ، لأنَّ أحداً لم يسبقِ وسألنا عن أحوالنا.

# بعد مئة عام، لن يكون أحدٌ منا موجودًا

بعد مئة عام  
لن يكون أحدٌ منا موجودًا.  
لا أحلامنا الكبرى  
ولا التافهة،  
لا كوابيسنا  
لا حُبُوننا المُنومة  
وساعاتُ الأرقِ الطويل  
ونوباتُ الكآبة ..  
لا قلقنا الصباحي  
ولا منبّهاتنا القديمة،  
التي لا تعمل.  
لا الزحامُ المروري  
والناسُ المتجهّمين.  
لا الشوارع  
ولا البلاد.  
لا أحلامُ البلاد  
ولا حدودُ البلاد،  
التي رسمناها

بالدمِ والدُّمُوعِ ..  
لا أعلامُنَا  
أو أغانيِنَا الوطنيةِ.  
لا أحرزَانُنَا الوطنيةِ  
ولا أفراحنَا الوطنيةِ.  
سيختفي بائعُ الغازِ  
وقارئُ نشراتِ الأخبارِ  
والسَيِّدَةُ الجميلةُ في لوحةِ الإعلاناتِ ..  
والشارعُ العموميُّ  
ومتجرُ الألعابِ،  
وعياداتُ التجميلِ  
والنساءُ المنتفخاتُ بالبوْتِكْسِ  
والسداجَةُ ..

سيختفي آباؤُنَا الطَّيِّبُونَ،  
أكثرَ من اللازمِ  
آباؤُنَا القَسَاةُ،  
أكثرَ من اللازمِ  
والأمّهاتُ المنحنيّاتُ  
عندَ أفرانِ الخُبْزِ  
وأقدامِ الحياةِ  
والرجالِ.  
سيختفي طُعْمَانُنَا الجميلون

وخطاباتهم الكوميديّة  
التي لا تُضحكُ أحدًا..  
ستختفي المنافي  
واللهجاتُ القبيحةُ  
وأبناءُ البلد  
أبناءُ الله، والحظُّ الجيّدُ..  
ستختفي حياتنا  
وراءَ الأفقِ  
سيجرُفُها الزمنُ  
أو ستُرمى  
في البحرِ  
مثل حُمولةٍ زائدة.  
بعد مئةِ عامٍ  
لن يكونَ أحدٌ منّا موجودًا  
وإذا ما عُدنا يومًا  
بعد مئةِ عامٍ  
فإننا بالكاد،  
سنعرفُ الطريقَ نحوَ المنزلِ.  
وحين نقفُ أمامَ أبوابنا  
ونظرفُها بوجَلٍ  
فإنَّ شخصًا آخرَ  
غير أمّهاتنا  
سيفتحُ لنا.

# في الظلِّ، وراءِ البابِ المُواربِ

إلى أندري تاركوفسكي.

في الظلِّ  
وراءِ البابِ المُواربِ  
ينكمشُ طفلٌ مُعتمٍ ..  
حُدودُ جسدهِ الباهتِ  
تتماهى،  
مع الليلِ المسكوبِ في الأرجاءِ.  
ذراتُ الهواءِ .  
تشرَّبُ ظلًّا عتيقًا  
وتنتشر  
حولَ الجسدِ الصغيرِ ..  
الضوءُ يتساقطُ كالندى  
على الممرَّاتِ الطويلةِ  
فوقَ الجسدِ الباردِ ..  
عينٌ خافتةٌ  
تبرق،  
من وراءِ البابِ المُواربِ.

عينُ أخرى  
في الظلِّ  
تبدو، كثمرة كَرَزِ ذابِلة.

وطنُ بعيد  
يُشردُ،  
في العُيُونِ المَحْنِيَّةِ ..  
مركبُ شِراعِيّ  
يُراقِبُ انطفاءَ الشمسِ  
في النظراتِ الشاردة ..

ويُدُ الطِفْلِ الصغِيرِ  
المقْطوعَةُ في الظلِّ  
تُقَلِّبُ خَفِيَّةَ  
الكُرْزاتِ المُتدَلِّيَّةِ  
من الجَسَدِ السُّفْلِيّ ..  
تستكشف  
رغبةً مُقْفَلَةً.

آه،  
أَيْتُهَا الطُّيُورُ على النافذة  
الطُّيُورُ التي تسقط  
أمامَ النافذة ..

كم تبدو الحياةُ سريعة  
بطلقةٍ واحدةٍ في الريش!  
الخطواتُ العسكريةُ الموحلةُ  
الخطواتُ التي تسحب  
سماءَ من الترقب ..

وتحنني  
أمامَ الشُّرفة ..  
على الطيورِ المكورة،  
في الوخلِ والريش  
والحياةِ الناقصة.  
آه، كم يبدو الخوفُ هينًا  
سيقانُ البنادق  
تمسحُ الضباب  
عن وجهِ النافذة ..

وطفلٌ صغيرٌ في الظلِّ  
يتأملُ زخاتِ الضوءِ الساقطِ  
على الأقدامِ الباديةِ  
من تحتِ السرير ..

آه، يا أقدامَ الحربِ الخضراءِ  
في الخارجِ.  
الحربُ التي تقتلُ الوحشةَ  
وحشةَ الطفلِ الصغير ..



يا رخام العتمة الحارّ

الذي تسقيه الحرب

بدم بارد ..

دم أحمر جميل.

أيتها الأقدام

في الخارج،

يا صوت الأنس

يا صوت البنادق ..

يا قطعان العصافير الميتة

التي تطرقُ النافذة

يا جيشَ الحصَى المتساقط ..

أيتها الطيورُ الميتة.

يا سهيلَ الحياة البراق ..

يا وجهَ الشمس

التي لا تدخلُ العُرفة ..

مَنْ يفتحُ بابَ الخارجِ الموصد ..

ولو بكُعبِ البنادق؟

مَنْ يُدخلُ الضوء

للحياة الصغيرة المُعتمة؟

أقدامُ الأمِّ بادية

من تحتِ السرير ..

والطفلُ الغارقُ في الظلِّ  
مشدودٌ بحبالِ العتمةِ ..  
مَنْ يدلُّقُ النهارَ  
في الحجرِ القديمة؟  
كي يكبرَ الطفلُ الصغير  
كي ينهضَ  
ويجرَّ الأقدامَ الباديةَ  
من تحتِ السريرِ ..  
أقدامَ الأمِّ المشتاقةَ للضوء!

وَأَنْتَ تُوَزَعُ خُطَاكَ  
عَلَى الطَّرِيقَاتِ كُلِّهَا ..



## تعال .. بأية هيئة، تعال

إلى أيمن ساعي ..

يومًا ما  
حين تضجُرُ من موتك  
وتُقرِّرُ أن تعودَ،  
حين تفتقدُ قصائدك،  
حربك الشرسة  
بينادقها، وخنادقها  
بالغامِها، التي كانت لا تنفجر  
إلا في قلبك.

يومًا ما  
حين تفتقدُ ريتا  
حبيبتك، التي كانت تُكلمك  
فيعيدك صوتها شابًا  
تبتسمُ لك  
فيصيرُ قلبك حديقة  
تستريحُ في ظلها البلاد  
بعد حربٍ طويلة، طويلة ..

يومًا ما  
حين تملُّ رُقُودَكَ الطويل  
وتصمُّمُ أن تعود  
تسيرُ فوقَ حُطَاكَ  
المحفورةِ في ذاكرةِ الطريق  
تستعيرُ ملامحَكَ من صُورِكَ القديمة  
تسحبُ صوتَكَ من ذرَّاتِ الهواءِ  
وتعيدهُ لِحَنَجَرَتِكَ،

تركُ حُرَّتَكَ هادِلًا  
فوقَ أحدِ الكراسي،  
كَمِعْطَفٍ مَنْسِيٍّ  
وتغادرُ

تقطُّفُ الأزهارِ  
وتعودُ بها إلى المنزلِ.

يومًا ما  
حين تفتقدُ حياتَكَ القديمة  
حياتَكَ الخاليةً من الحربِ واللُّجُوءِ، والصواريخِ  
وجثثِ أصدقاؤِكَ الموتى  
بأعينِهِم المفتوحةِ على السماءِ  
كصرخةٍ مَكْتومةِ.

حين تفتقدُ حياتَكَ  
حياتَكَ التي لم تعشها  
لم يمنحها لك العالمُ أبداً  
وإنما اكتفيتَ  
كأيِّ نبيٍّ مخذولٍ ومَنسيٍّ  
بتمنيِّها.

يوماً ما  
حين تفتقدُ سارا وتانيا وتماما وتيم  
حين تفتقدُ قصائدهم، أصواتهم، ضحكاتهم العالية  
أحزانهم التي بكيتهَا بالنيابةِ عنهم  
أحزاننا التي بكيتهَا بالنيابةِ عنَّا.

حين تفتقدُ شَدُونَا  
نحنُ، عصافيرك الصغيرة  
التي كانت حينَ تضيقُ بها السماء  
تمدُّ لها أغصانَ قلبِكَ  
فتُهرعُ نحوها، لتستريح.

ويوماً ما  
حين تنظرُ للسماء  
وأنتَ مُستلقٍ على ظهرِكَ  
في ليلةٍ باردةٍ وحزينةٍ،

وتذكّرني

أنا الصَّبِيَّةُ الخُضراءُ  
التي صارتُ يَاسا  
وَجَرَفَتْ  
شَيْئًا بِالْيَا فِي عُرُوقِ البَلاَدِ.

الصَّبِيَّةُ  
التي نَحَتَ الفَقْدُ وَجْهَهَا  
وَاحْتَلَّتْ صَوْتَهَا الفَجِيعةُ

أنا الصَّبِيَّةُ،  
التي يَفْرِكُ الحُزْنَ قَلْبَهَا  
فِيَتَفَتَّتْ  
مِثْلَ كِتْلَةِ رَمَلٍ مِتْحَجَّرَةٍ.

يَوْمًا  
حِينَ تَفِيقُ فِي الصَّبَاحِ  
وَتَبْدَأُ بِإِزَاحَةِ الحِجَارَةِ الصَّغِيرَةِ  
التي كَانَتْ تَتَحَرَّكُ بِقَلْقِ تَحْتَ رَأْسِكَ  
وَكَأَنَّهَا كَانَتْ تَحَاوَلُ  
بِالنِّيَابَةِ عَنَّا،  
أَنْ تُبْقِيكَ حَيًّا.



حين تتركُ على عظامِك، كعكَّازة  
لتنهضَ.

حين تُمسِكُ قلبِك،  
الذي يتدلَّى من جَسَدِك  
كقلادةٍ على وشكٍ أن تسقط  
وتعيدهُ إلى مكانِه  
بالرِصاصةِ المستريحةِ في أعماقِه  
بأحَبَّتِك الذين يملؤون حجراتِه  
وبأحزانِك السريَّة  
بأحزاننا  
التي كُنْتَ تَقطُفُها من قُلوبنا  
وَتُخبِئُها بخفَّةٍ، في قلبِك.

يوماً ما  
حين تُقرَّر  
ولو بعدَ ألفِ عامٍ، يا أيمن -  
أن تعودَ.

تعالِ.  
اتبِعِ صوتي  
صوتي العالقُ في الهواءِ  
صوتي الذي

تستعيرُ منه الناياتُ، حُرَّهَا  
صوتي الذي منذُ ألفِ عامٍ  
ما زال يُنادي عليكِ.

حين تُقرّرُ أن تنهضَ من ضَجْرِكَ  
وأنتَ تقولُ: لا أريدُ أن أستمِرَّ في هذا كُلِّهِ.  
حين تُدرِكُ، يا أيمن  
أنتَ الذي جرَّبتَ أن تموتَ مرَّاتٍ كثيرةٍ  
أن الحياةَ، ليستَ سيئةً إلى هذا الحدِّ

حين تُدرِكُ ذلكَ

تعالَ

ببيرةِ الحربِ التي على كتفِكَ  
بالرصاصِ المتناثرِ كبُدُورِ قَمَحٍ في جَسَدِكَ  
بحُزنِ عَيْنَيْكَ  
الذي من أكثرَ من ألفِ عامٍ  
لم تخسرَ منه شيئاً.

تعالَ

بذراعَيْكَ اللَّتَيْنِ صارتَا شتلاتٍ وردٍ  
بجَسَدِكَ الذي صارَ جذعاً  
بالأنهارِ  
الأنهارِ الطويلةِ

التي تسري بَدَلِ الدِّمِ فِي عُرُوقِكَ  
فِي عُرُوقِ الْبِلَادِ

تعال.

بِقَلْبِكَ الَّذِي كَقُلُوبِ الْأَنْبِيَاءِ  
مُتَمَلِّئٌ بِالْخِذْلَانِ، الرِّصَاصِ، الْجِرَاحِ وَالْأَصْدِقَاءِ

تعال

يَا أَيْمَنُ، تعال

بِأَيَّةِ هَيْئَةٍ، تعال

كُنْ سَحَابَةً صَيْفِيَّةً دَافِئَةً

كُنْ ضِحْكَةً عَاشِقٍ أَوْ تَنْهِيدَةً

كُنْ حَمَامًا، كُنْ هَتَافًا، كُنْ أُغْنِيَّةً

كُنْ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ ..

لكن، تعال.

سَتَجِدُ الْبَابَ مُشْرَعًا

يَنْتَظِرُ دُخُولَكَ

أَضْوَاءُ الدَّرَجِ

سَتَجِدُهَا مُضَاءَةً

لَرَبِّمَا عَدَتَ فِي وَقْتٍ مُتَأَخَّرِ

سَتَجِدُ الطَّعَامَ عَلَى الطَّائِلَةِ

النارُ في المدفأة  
نرمي فيها قلوبنا  
حَطَبَةً حَطَبَةً  
كي تُحافظَ على اشتعالها

لربّما عدتَ في الشتاء  
بأطرافٍ باردةٍ وقلبٍ مُتجمّد.

تعال  
يا أيمنُ، تعالْ  
مقابرُ بلادنا أزهرتْ  
البنادقُ  
صارت عصياً، يلعبُ بها الصَّبِيَّةُ البيسبول.  
القصاصدُ الحزينة  
صارت طيورًا، وغادرتْ قلوبنا

تعال  
على الأفقِ  
لنقطفَ الحُزنَ من عَيْنَيْكَ  
لننزعَ الرصاصَ من جَسَدِكَ  
لنضمّدَ جراحَكَ  
التي لاكثرَ من ألفِ عامٍ  
ما ترألْ تنزفُ في سرايينِ البلاد

تعال، يا أيمن  
لنلتقط على الأقل صورةً جماعيةً  
صورةً أخيرةً  
لشخصٍ عائدٍ من حربهِ  
سليماً ومُعافىً  
يضعُ يدهُ على أكتافِ أصدقائه  
ويقولُ  
من خلالِ ضحكتهِ التي تُعلنُ نصرًا واضحًا  
أن القِصصَ العظيمةَ ..  
ليستِ كُلُّها،  
يموتُ أبطالُها في النهايةِ  
تعال .. يا أيمنُ  
بأيةِ هيئةٍ، تعال.

# إِنَّهُ الْعَالَمُ يَنْتَهِي .. وَلَا يُصَفَّقُ أَحَدٌ.

لثُمَّ، لثُمَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ  
عُيُومٌ كَثِيرَةٌ تَغْطِي وَجْهَ الشَّمْسِ  
الطُّيُورُ عَلَى الْأَشْجَارِ  
بُرُؤُوسٍ مُنْكَسَّةٍ  
وَأَجْنِحَةٍ مُلْقَاةٍ حَوْلَ جَسَدِهَا  
كَمَجَادِيْفٍ بِجَانِبِ قَارِبٍ تَالِفٍ ..  
تَحَاوَلُ أَنْ تَغْنِي  
الطُّيُورُ، بِحَنَاجِرِهَا الْمَجْرُوحَةِ ..  
وَمِثْلَ نَائِي مَبْحُوحٍ  
يَخْرُجُ صَوْتُهَا مُوَحِّشًا.  
الضَّبَابُ يُسَدِّدُ سِتَائِرَهُ عَلَى مَسْرَحِ الْعَالَمِ  
كَأَنَّهُ يُعْلِنُ النِّهَايَةَ  
وَلَا جَمْهُورَ كِي يُصَفَّقَ،  
لَا مُمَثِّلِينَ  
كِي يَخْلَعُوا الْأَقْنَعَةَ  
وَيَرْكَعُوا أَمَامَهُمْ مُحْيِينَ.  
إِنَّهُ الْجَمْهُورُ  
جَمْهُورُ الْعَالَمِ،

بِاللُّثْمِ السُّودَاءِ عَلَى وَجْهِهِ  
بِعُيُونِهِ الَّتِي تُصَارِعُ غُبَارَ الْأَحْلَامِ  
- الَّتِي رَكِبَتْ عَرِيَاتِهَا، وَقَرَّتْ هَارِبَةً -  
كَيْ تَرَى مَوْضِعَ قَبْرِ، وَتَحْفَرُهُ.

إِنَّهُ الْعَالَمُ

يُنْتَهِي

وَلَا يُصَفُّ أَحَدٌ،

إِنَّهُ الْعَالَمُ

يُنْتَهِي،

وَالْجُمْهُورُ ..

يُدْفَنُ ضَحَايَاهُ.

# شخصان يُدليان أقدامهما على حافة العالم

إلى ريتا غراهام

وأخيراً  
ها نحنُ ذا  
على حافة العالم  
نجلس مُتفرّجين  
نُدلِّدُ أقدامنا  
التي تورّمتُ  
من فرط ما مشينا حافيين  
على الطرقات  
وكنسنا بها  
أوجاع البلادِ كُلِّها.

وأخيراً  
ها نحنُ ذا  
نجلسُ صامتين  
كصديقين حميمين  
قالا كُلُّ ما يجبُ أن يُقالَ سابقاً  
أو لم يقولا شيئاً



لأنَّهما يعرفان مسبقاً  
كُلُّ ما يريدُ الآخرُ أن يقولَه

ها نحنُ نراقبُ نهايةَ العالمِ  
بطمأنينةٍ  
مَنْ يراقبُ العُروبَ  
ويبتسمُ  
لأنَّ الشمسَ  
ستُشرقُ مجدداً  
في اليومِ التالي.

ها نحنُ كطفلينِ أتعبهُما اللُّعبُ  
كجُنديينِ أنهكتهُما الحربُ  
عجوزينِ عاشقينِ  
وصلا إلى الضِّفَّةِ الأخرى من الحياة  
وما عادَ هناكَ ما يُحاربانِ لأجلِه.

ها نحنُ أخيراً  
نجلسُ بجانبِ بعضنا  
بقُلوبنا الممتلئةِ بالشوكِ  
المتبقي من أثرِ الورودِ  
التي كُنَّا نغرسُها  
بكُلِّ ودٍّ في قُلُوبِ بعضنا

لنُرفِعَ ما أهدته الرصاص  
الذي لم نكن يوماً هدفة  
بل كان يعبرنا دائماً ليصل إلى هدفة.

ها نحنُ الذين لطلالما عشناً دائماً  
كأكياسِ الرمل  
بين فصيلين متحارين  
وحين كان يفضُ الرصاصُ قلوبنا  
لم يكنُ أيُّ من الفصيلين  
يبكي علينا

ها نحنُ الذين كُتِّبنا نبيك دائماً  
بالنيابة  
عن كلِّ الذين كان يُفترضُ بهم  
أن يَكُونوا  
أن يَكُونوا علينا  
وأن يكتبوا قصائدَ طويلة  
غيرَ صالحةٍ للنشر  
في رثائنا  
لأنَّها محاولتهم الأولى  
لكتابةِ الشُّعر  
أو لأنَّ حُرَّتنا  
الذي خلَّفناه

ما كان ليسكن  
إلا حينَ يكتبُ شخصُ  
- لا علاقةَ له بالشُّعْر -  
شِعْرًا من أجلنا

ها نحنُ الذين بكينا من أجلنا طويلاً  
لأنّه، ويا للأسف،  
ما من أحدٍ خلَّفَتْهُ هذه الحرب  
ليبكيَ علينا

نحنُ الذين أمضينا حياتنا  
نبكي الجميع  
ننعى الجميع  
ونكتبُ قصائدَ رثاء  
نقرؤها في مراسمِ الدفن  
لتلتئمَ أرواحُ الجميع  
وتتفتتَ أرواحنا

ها نحنُ أخيراً  
نجلسُ على حافةِ العالم  
مُسبِّكي الأيدي  
بسعادةٍ طفلٍ وطفلةٍ .  
قبلاً بعضهما

للمرّة الأولى،  
ونحنُ نقولُ في سرِّنا  
هكذا إذنُ  
تكونُ النهاياتُ  
ها هي النهايةُ أخيراً ..

## أَيَّتْهَا الثُّورَةُ ..

مساءَ الجُمُعة  
سأنهضُ من فراشي  
سأسيرُ في الشوارع الجانيّة  
وأنا أُخبئُ وجهي خلفَ شالٍ عربيّ،  
أضعُ بضعةَ حجارةٍ في جيبي  
وأضغطُ من التوتّر عليها ..  
كلّما حدّقُ جنديّ في وجهي  
وبصقَ على الأرض ..

مساءَ الجُمُعة  
سأعبرُ الدّبّابات  
جُنُودَ الأمنِ المركزيّ...  
الفخاخَ/الكمانَ  
ومراكزَ التفقيش ..  
سأعبرُهُم جميعًا،  
دونَ أن يراني أحدٌ ..  
لا أريدُ أن يراني أحدٌ ..

سأصيرُ شبحًا أو طائرًا، سأصيرُ أيّ شيء

سأختبئُ بين الحوائطِ تارةً  
وبين صناديقِ القمامةِ والعرباتِ المُصَفَّحةِ تارةً أُخرى ..

وسأتسلَّلُ إلى غرفتكِ،  
حيثُ تقبعين جريحةً في إحدى المُستشفيات،  
حيثُ الحُرْسُ يُحاصركِ، ينتشرُ في المكانِ ..  
أكثرَ من ذرّاتِ الأكسجينِ فيه

وأنتِ صبيَّةٌ صغيرة  
تنظرين لأيديهم الداخلةِ والخارجةِ  
تتمنّين لو يدخلُ عليكِ أحدُ بوردةِ  
وردةِ واحدةٍ ولو كانتِ مُخبَّأةً في القلبِ.

غير أنكِ كلِّما وليتِ وجهكِ  
رأيتِ الحُرّاسَ .. جميعًا  
بقُلُوبهم الشاحبةِ  
ووجُوههم المظلمةِ  
لا يُخبئُون في قُلُوبهم وجُوبهم سوى:  
أسلحةٍ وأصفادٍ ومُفخَّخاتٍ يدويّةِ.  
سأتسلَّلُ

من البوابةِ الرئيسةِ  
أمامَ أعينِ الجميعِ  
أو منَ النافذةِ

سأستحمُّ في سُرفتكِ ..

وَأَتَسَلَّلْ

طيرًا يَسْتَحِمُّ فِي شُرْفَتِكَ، وَيَشْدُو لِقَلْبِكَ.

سَأَنْزِعُ الْأَجْهَرَةَ

سَأُضَمِّدُ جِرَاحَكَ عَلَى عُجَالَةٍ

سَأَحْمَلُ حَقَائِبَكَ

وَسَنَنْظُرُ مَعًا قَطَارَ السَّاعَةِ الْوَاحِدَةَ

سَأُضَمِّدُ قَلْبَكَ وَأَنْزِعُ الْأَشْوَاكَ مِنْهُ

سَأَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِكَ وَصَدْرِكَ وَذِرَاعِكَ

وَسَأُخِيطُ مِنْ عِلْمِ الْبِلَادِ ثَوْبًا جَدِيدًا

خَالِيًا مِنَ الدَّمَاءِ .. وَاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ.

سَيَكُونُ عَلَمًا أَيْضًا وَحَسَبِ

بَنَسِرٍ يُحَدِّقُ فِي الْمُنْتَصَفِ.

سَنَرْحَلُ مَعًا

سَنَتْرِكُ الْبِلَادَ

سَنَهِيْمٌ فِي الْبَحَارِ وَالْوُدَيَانِ وَالصَّحَارِي

الْبِلَادُ كُلُّهَا - عَدَا بِلَادِنَا - سَتَصِيرُ مَوْطِنًا،

سَتَعِيشِينَ بِأَمَانٍ،

دُونَ أَنْ يَهْشَمَ جَنْدِيٌّ رَأْسَكَ ..

كَلَّمَا هَتَفْتَ لِلْبِلَادِ،

أَوْ غَنَيْتِ أُغْنِيَّةَ وَطَنِيَّةٍ.

سَتَضْحَكِينَ، سَتَهْتَفِينَ، وَتُغَنِينَ

دون أن يُصَفِّدوا قلبكِ ويدَيْكِ وذراعَيْكِ  
دون أن يُلْقُوا بجَسَدِكِ الصَّغِيرِ فِي سَجَنِ انْفِرَادِيٍّ،  
ستعيشين فِي مَكَانٍ لَا يُشْبَهُ الزَّنَازِينَ  
ستتنفَّسين هَوَاءً نَقِيًّا،

عوضًا عن قنابلِ الغَازِ الأَمْرِيكِيَّةِ  
سترين أناسًا وأطفالًا وصبايا ومواليدَ جَدَدًا  
ستذهبن للسينما

وتحضرين الحفلات ..

بدلًا من أن تظلي قابعة

- وَأَنْتِ صَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ -

فِي زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ وَمُوحِشَةٍ .. من زَنَازِنَةٍ انْفِرَادِيَّةِ  
تقتلعين عَيْنَيْكِ، وتُرسِلينَهُمَا مع الطُّيورِ البعيدةِ  
كي لَا تَمْتَلِي ذَاكِرَتُكَ بِصُورِ الجُنُودِ والخُودِ والسلاسلِ .. والعصيِّ  
الكهربائيَّةِ.

ستعيشين،

وحيث تموتين

سنقيمُ لكَ جَنَازَةً لَاتِقَةً

وسأكتبُ لكَ مَرثِيَّةً.

سنضعُ شَاهِدًا على قَبْرِكَ

ونزرعُ فوقَهُ البنفسجَ.

بدلًا من أن يُؤاَرُوا فِي البِلَادِ جَسَدَكَ على عُجَالَةٍ



في مقبرةٍ جماعيّةٍ لأبطالٍ مجهولين  
حيثُ ينامُ القاتلُ بجوارِ قَتْلَاهِ في قبرٍ واحدٍ  
حيثُ يصيرُ القاتلُ أبًا لِقَتْلَاهِ الصغارِ  
فينامون بطمأنينةٍ إلى جوارِهِ  
كأنَّهُم أسرةٌ واحدةٌ

ستعيشين بأمان  
وحين تموتين  
سنضعُ شاهدًا على قبركِ  
وسأكتبُ لكِ مَرثيةً.

تعالِي  
أمسكي بيدي  
وانتظري معي قطارَ الساعةِ الواحدةِ  
تعالِي  
لنهاجرِ  
لنتركِ البلادَ  
أيتها الثورة.

## دائمًا هنالك وقتٌ.

(للشّام، كُلُّ الشّام.. هذه المزة)

دائمًا هنالك وقت  
لأن تُحصي خساراتك  
حتى وأنت تركضُ مذعورًا  
لتختبئَ كجرذٍ في إحدى المزابل  
راجيًا  
أن تسقط القذيفةُ في الجهةِ المقابلة.

لا أحدَ يتمنى أن تسقط القذيفةُ  
فوقَ رأسِه ..  
حتى أنتَ  
أنتَ الذي طالما غنيتَ للسلامِ والأطفالِ والياسمين  
أنتَ الذي كلّما رأيتَ شهيدًا  
قلتَ في نفسك:  
ليتنى كُنْتُ مكانه.

أنتَ الذي كلّما رأيتَ طائرةً

تجوبُ في السماء  
كنتَ تسمعُ قلبك يُردّد:

- بلا حياء -

على الأطفالِ في المبنى المقابل  
على الوردِ في المبنى المقابل  
على الأغنياءِ في الجهة المقابلة.

أنتَ الذي  
كُلّما رأيتَ طائرةً  
رَمَتَ قنابلها .. وحلّقتُ بعيداً.  
كنتَ تخرجُ من رُكامِك  
من فَوْضاكِ  
وأنتَ تدسُّ يديك - بخجلٍ - في جُيوبِك  
كأنّك تعتذرُ عن بقائك حياً ..

دائماً هنالك وقتُ  
لأن يُقدّمَ الناجونَ اعتذاراتهم  
بين كلِّ قذيفةٍ وأخرى ..

وأنتَ تُوزعُ خطاكِ  
على الطُّرقاتِ كُلِّها

وَأَنْتَ تَتْرِكُ قَدَمَيْكَ وَظِلَالِكَ وَذَاكَرْتِكَ  
عَلَى الْأَرْصَفِ كُلِّهَا  
وَأَنْتَ تَشْعُرُ بِالضَّالَّةِ  
فِي الْمَنَافِي كُلِّهَا  
دَائِمًا هُنَالِكَ وَقْتُ  
لَأَنْ تُقَدِّمَ اعْتِدَارًا خَفِيًّا  
لِلْبِلَادِ  
الْبِلَادِ الَّتِي تُرِيدُ أَيْضًا  
أَنْ تُهَاجِرَ.

لَيْسَ هُنَاكَ مُتَّسِعٌ  
فِي الْحَقَائِبِ وَالْقَوَارِبِ وَالذَّاكِرَةِ  
لَيْسَ هُنَاكَ مُتَّسِعٌ  
لِكُلِّ هَذِهِ الْجُبُثِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَرَاثِي  
أَذْهَبِي لِعَابِرٍ آخَرَ  
أَيَّتَهَا الْبِلَادِ

أَسْأَلِي مُهَاجِرًا آخَرَ  
أَنْ يَحْمِلَكَ عَلَى قَدَمَيْهِ ..  
أَيَّتَهَا الْبِلَادِ  
قَفِي فِي الطَّوَابِرِ الطَّوِيلَةِ  
دُونَ جَوَازِ سَفَرٍ أَوْ حِذَاءٍ أَوْ غِطَاءٍ رَأْسٍ أَوْ بَطَاقَاتٍ لِلْمُعَايِدَةِ.

لربّما يمنحكِ حاكمٌ ما منزلاً وعشاءً ساخناً  
أو ربّما يراكِ شاعرٌ ما  
فيكتبُ لكِ مرثيةً  
ليُبرهنَ على إنسانيّتهِ ..  
أو ربّما تفوزُ صورتكِ  
وأنتِ حافيةٌ  
وعيناكِ جمرتانِ باردتانِ  
يدُكِ زرقاءُ  
قلبكِ أزرقُ  
وأسنانُكِ تصطكُ ببعضها  
حُرّاً وخوفاً وتسرُّداً ..  
لربّما تفوزين  
بجائزةِ الموسمِ.

ليسَ هنالكِ مُتّسعٌ، يا دمشق ..  
ليسَ هناكِ وقتٌ  
لندفنَ هذه الجثثَ كُلَّها  
ليسَ هناكِ وقتٌ  
لأنَ نحملَ هذه الأُمْنِيَّاتِ كُلَّها  
ليسَ هناكِ وقتٌ  
لأنَ نغرسَ هؤلاءِ الأطفالِ المبتورينَ كُلَّهم  
لأنَ نكتبَ لكلِّ شهيدٍ مرثيةً ..  
لأنَ نقولَ لكلِّ مُسافرٍ وداعاً ..

لكن، دائماً .. دائماً.

هناك وقتٌ

لأن يُحبّ غريبان بعضَهُما

في طريقهِما الطويل ..

نحوَ القيامة

دائماً، دائماً ..

هناك وقتٌ

لأن يكبرَ الأطفالُ في أكفانهم

لأن تُنجبَ الأمّهاتُ الميتاتُ أطفالاً جُددًا

ولأن يُنبَتَ الوردُ في عُيون الصبايا المنفيات

دائماً هنالك وقتٌ

لأن ينسجَ الميتون من موتهم ..

حياةً أخرى

حياةً جديدة ..

تكونُ تقريبًا، على مقاسِك ..

دائماً هناك وقتٌ

أمامَ هذي الحرب

لأن تسأمَ نفسَها

لأن تنتحرَ ..

ودائماً .. دائماً

هنالك وقتٌ لأن يلقى الجنودُ بأسلحتِهِم  
ويقولُ كُلُّ واحدٍ للآخر:  
ارفعُ كأسَكَ  
يا صديقي.

# حَتَّى لَا نَظْهَرَ كَنْدَبَةَ عَلَى جَبِينِ الْعَالَمِ..

لحظةً من فضلك  
أيها العالم  
امنحنًا دقيقةً واحدة  
لنغسلَ الدمَ عن وُجُوهِنا  
لنُلَوِّنَ زرقَةَ أيدينا وأقدامنا  
ولنبحثَ بين أكوامِ الركامِ  
عن ملابسٍ أنيقة  
لنعيدَ تصفيفَ شعورنا كما يجب  
حتى نُسهِّلَ الأمرَ على وكالاتِ الأنباء  
التي تحاولُ أن تُثبتَ للعالمِ أجمع  
أننا بخيرٍ تمامًا  
وأن على الناسِ أن يلتفتوا  
للثُّقوبِ السوداءِ،  
مواسمِ الجفافِ  
وأنواعِ الحيتانِ المهدِّدةِ بالانقراضِ  
بدلاً من أن يُثيروا ضجَّةً كهذه  
لمُجرِّدِ أن بلدةً صغيرةً  
سُطِّبَتْ من على الخارطة ..



لحظةً من فضلك  
أيها العالم  
أعطينا بضع دقائق  
لندهن المساحيق فوق وجوهنا المدّماة  
لننفع الروح في جثتنا المصلوبة  
جثتنا المعلّقة فوق أعمدة الإنارة  
من أثر الانفجارات ..  
لنبحث عن أيدينا المبتورة  
ونلصقها على عجالة بأجسادنا  
كي لا يهدر العالم  
دقائقه الثمينة  
في إطلاق الشجب والاستنكارات من أجلنا  
لحظة أيها العالم  
لنخبر مهاجريننا تحت أسرتنا  
لنعيد أطفالنا اللاجئين إلى أرحامنا  
لنطلق خيامنا كبلالين في الفضاء  
لنتلّب من جيراننا  
الطيبين جدًّا  
أشقائنا العرب  
أن يُخبئوا مأساتنا  
أوانينا المنزلية  
وثيابنا الرثة  
في خزاناتهم الفارحة

لدقائق

دقائق فقط ..

حتى لا يتسنَّ لممثلات هوليوود الأنيقات

أن يلتقطن صورًا للمُباهاة

بجانِبِ أطفالنا

أطفالِ العالمِ الثالث

وهنَّ يتركنَّ مسافةً واضحة

بينهنَّ،

وبين أجسادنا

النحيلة، والقدرة ...

لنختبئُ في حُجُورِ أمهاتنا، ولتختبئُ أمهاتنا في حُجُورِ أمهاتهنَّ كذلك

وهكذا

علينا أن نختفيَ قليلًا

كي يتسنَّى للعالم أن يلتقط صورَه ضاحكًا

حتى لا نظهرَ كَنَدْبَةٍ على جبينِ العالم

كبقعةِ قذرةٍ على ياقةٍ ملابسِه

الأنيقة، والمرتبّة ..

حتى لا يأخذَ العالمُ وقتًا طويلًا

في اختيارِ زاويةِ التصويرِ المناسبةِ

التي تُظهرُ ملامحَه ..

أقلَّ فُبحًا.

حتى لا نُزعجَ صباحاتك

بأخبارِ موتنا

العاديّ والمُكرّر ..  
علينا أن نذهبَ إلى قِياماتِنَا بهُدوءٍ ..  
على مآسِينَا أن تختفي  
كفُقاعاتِ صابونٍ في الهواءِ  
حتّى يكونَ بوسعِكَ ..  
أيّها العالمِ  
أن تظهرَ ضاحكًا  
في صُورِكَ كُلِّهَا  
دونَ أن تَقلَقَ  
من أن تطلَّ بناتُنَا  
من محاجرِكَ ..  
دامياتِ وباكياتِ وحرّاني ..  
أو أن ينطلقَ سهوًا  
أحدُ أطفالِنَا  
- المكوّمين وراءَ الستارِ -  
راكضًا ..  
خلفَ حشيرةٍ أو قطِّ برّيٍّ  
وهكذا  
ويا للأسفِ ..  
سيظهرُ بكُلِّ بشاعتهِ ..  
أمامَ الكاميرا  
سيُفسدُ على العالمِ الأنيقِ ..  
حفلةً.

# حمامةٌ تُحدِّقُ في البعيد، وتلمعُ في عينيها عصا بندقيّة

إلى أيمن ساعي.

السماءُ هنا  
هي ذاتها السماءُ هناك  
القمرُ  
الذي ينظرُ إلينا بعينٍ واحدةٍ  
كغريبٍ يراقبُ حبيبتين  
في مقهى  
من شبّاكٍ مفتوح  
هو ذاته  
القمرُ  
الذي يضعُ عينه الأخرى  
على جنديّ شاعر  
يجدلُ الكلمات  
ويلقُّها حولَ قلبه  
كشريرةٍ تُلَفُّ هديةً ميلاد

لا تفتحُ أبدًا  
كي لا تتسلَّلَ الحرب  
هذه العجوزُ الماكرة  
إلى قلبه

النُّجُوم  
التي تُنصِتُ باهتمام  
إلى عينِ الشاعرِ في الليل  
وهي تقولُ كلامًا عابرًا  
لم يقدرُ على قوله الشُّعر  
أو الرصاص  
تُومضُ كأنَّها تُلوِّحُ له بكفِّها  
وهو يقفُ على الضِّقَّةِ الأخرى من الحياة  
وهي تعلمُ أنه لا يُبصرُها  
لكنَّها تقولُ في نفسها  
ربِّما يراني  
وربِّما كان حديثُهُ العابرُ هذا  
حديثًا إلى نجمة

ربِّما يُحدِّثُني

ويظنُّ هو الآخرُ أن النجمةَ لا تراه

وأن وميضَها العابر

مُجرَّدٌ وميضٍ عابر

مُجرَّدٌ تلويحَتين

من غريبين

ظنَّ كُلُّ منهما أن الآخرَ يُحييه

فبادلَهُ التحيةَ

ومضياً

دون أن يعرفاً

أن كلاً منهما

قصدَ فعلاً أن يُلَوِّحَ للآخر

هكذا

تلويحةً من غريبٍ عابر

لغريبٍ عابرٍ آخر

هذه السماء

التي كعباءةٍ شريقيَّةٍ مُطرَّزةٍ

تقولُ مجازاً للغريب:

تناولُ طَرْفِيَّ

ولُفَّنِي حَوْلَ جَسَدِكَ

كما تَلَفُ عِباءةُ أُمَّكَ

التي تُدْفِئُكَ في ليلِ الشتاءِ الطويلِ

رغم وَهِنِهَا  
ورغمَ قماشِهَا الخفيفِ  
لكنَّكَ تشعُرُ بالدفءِ فيها  
فقط لأنَّها عباءةُ أمِّكَ

تصمتُ الدُّنيا قليلاً  
ثمَّ تقولُ السماءُ مجدِّداً:  
ضمِّني، يا أيُّها الغريبِ  
كأني عباءةُ أمِّكَ  
ولتَنَمَّ  
مُغمِضاً عَيْنَيْكَ  
كما تُغمِضُ أمُّكَ  
قلبَها عليكِ  
وُتُحاصِرُهُ بأضلاعِهَا  
التي تبدو كأصابعِ طفلةٍ متشابكةٍ

تُمسِكُ وردةً جميلةً بكلِّ قوَّةِ كي لا تُفَلتَها  
رغمَ أنَّها تعلمُ أنَّها لن تُفَلتَها أبداً  
لكنَّها تشدُّ بيديها عليها مراراً  
كي تتأكَّدَ أنَّها ما تزالُ في يديها ..

السُّجُومِ

التي ترانا

ونحنُ نقرأُ قصائدَ الشاعرِ

وترتجفُ قلوبُنَا

من فرطِ شوقِنَا إليه

مثل حمامةٍ مذبوحَةٍ

أو فرخٍ أتعبَهُ الحنينُ إلى أمِّه

ثمَّ نسيرُ ونحنُ نرَبُّتُ بأكفِّنا الباردةِ

على قلوبِ بعضِنَا

وننفخُ فيها كي تندفأ قليلاً

لنرَبُّتُ مجدِّداً على قلوبِ بعضِنَا

ثمَّ نعاودُ النفخَ فيها من جديدٍ

ونحنُ نقولُ بشيءٍ من المُواساةِ

لحبيبَتِهِ ربتَا

التي لا تقولُ شيئاً غيرَ الصمتِ

وتَهْرُؤُ رَأْسَهَا بِشكْلِ حزينٍ بعدَ كلامِنَا

الذي تعرفُهُ مسبقاً

نقولُ: هو لا بدَّ عائدٌ

كي يكْمِلَ الكونُ دورَتَهُ الطبيعيَّةَ

كي يُواصلَ الغمامُ طريقَهُ إلى البيتِ

وكي يعودَ الغزالُ سالماً إلى أمِّه في الليلِ

ناجياً من الذئابِ وكُلِّ بنادقِ الصيَّادينِ



هو لا بدّ عائدٌ  
كي لا تقومَ القيامةُ  
وكي تُشرقَ الشمسُ  
إذ كيف ستُشرقُ الشمسُ على دُنيا ليسَ فيها أيمن؟

يسقطُ الدَّمْعُ من عيني ريتا  
كأنه قِطْعُ نَزْدٍ تَدْحِرُجُ  
فوقَ حجارةٍ من ليلٍ  
فنصمتُ كُلُّنا طويلاً  
وتهدّلُ معاطفُنا عن ظُهُورِنا  
التي تخشَبَتُ  
من فرطٍ ما جلسنا فوقَ مقاعدِ الانتظارِ  
حتّى إن العصافيرَ  
تحطُّ على أكتافِنا وتطيرُ  
تظنُّنا أشجاراً

ورفاقي المنشغلون بالمواساة  
لم ينتبهوا  
كيف أن أوراقي نَبَتَتْ في أكفهم  
وأن أقدامهم المُثَبِّتةُ في الأرضِ

مثل كُعُوبِ البنادق  
مدَّتْ جُدُورَهَا عميقًا في التُّراب

وأُتذَكَّرُ  
أنَّ آخِرَ مَرَّةٍ نَظَرْتُ في عَيْنَي ريتا  
وَجَدْتُهُمَا عُشَّانِ  
وَوَجَدْتُ فِيهِمَا حَمَامَةً تَغْفُو  
وَأُخْرَى تُحَدِّقُ في البعيدِ  
وتَلْمَعُ في عَيْنَيْهَا عَصَا بندقيةٍ طويِلةِ  
وَصَيَّادٌ مُتَرَبِّصٌ يَهْمُ بِالضَّغْطِ فَوْقَ الزَّنَادِ  
كُلَّمَا حَاوَلَتِ الحَمَامَةُ أَنْ تُعْنِي.

ابْقُوا هَمِّنَا، وَاسْمُرُوا مَعِيَ ..



# الذي جَعَلَ الإنسانَ إنساناً ..

الذي جَعَلَ الإنسانَ إنساناً  
بادئ الأمر  
هي الرغبة  
في أن يقتفي أحدٌ ما أثره..  
ولهذا صارتُ له أقدام  
واستقامتُ قامته  
كي يقتفيَ أيضاً  
أثرَ أحدٍ ما  
ولهذا اخترعَ الإنسانُ الحُبَّ  
والفنَّ  
والموسيقى  
والأديان.  
الذي جَعَلَ الإنسانَ  
يرفعُ رأسَهُ أوَّلَ مرّةٍ  
للسماء  
ويقولُ: يا إلهي.  
هي الوحشة

الخوفُ من أن يظللَّ وحيدًا.

والذي يدفعُ إنسانًا ما

لأنَّ يصيرَ نبيًّا

أو شاعرًا مثلًا

أو حتَّى قاتلًا مأجورًا..

هو القلق

القلق

من ألا يتذكَّره أحدٌ..

## الحلاج يُريدُ أن يقولَ شيئاً ..

أريدُ أن أموت  
ككلبٍ جائعٍ  
على طريقِ عامّةٍ  
ككلبٍ يموت  
في وضحِ النهارِ ..  
يرمي بجثتهِ  
كحذاءٍ قديمٍ ..  
على أحدِ الأرصفةِ ..  
ويغادر.  
لا أريدُ أيّةَ بطولاتٍ  
لا أحلمُ أن أموتَ في الشبابِ،  
ميتةً جيّدةً ..  
كي تصيرَ صورتي علماً  
واسمي أغنيّةً  
يهتفُها الأطفالُ كلَّ صباحٍ ..  
وهم يلقونَ التحيّةَ ..  
لا أريدُ ميتةً لاثقةً،  
أريدُ حياةً لاثقةً ..  
لا أريدُ أن تُصفدَ يدايَ وقَدمايَ

لأقضيَ عمري كُلَّهُ ..

في زِنَانَةِ ضَيْقَةٍ

أرْمِي أَيَّامِي

من النافذة، كُلَّ صباح

كأوراقِ نقدِيَّةِ رخيصة

أحسبُ للكونِ عُمرَهُ

وأشعرُ بالضَّجَرِ ..

بِحُجَّةِ أن ذلك

سَيُحَرِّرُ شَعْبِي

اللعنةُ على شَعْبِي.

صدَّقوني

هذه كانت أمنيَّةُ المسيحِ الأخيرةِ

وهم يُمسكون بذراعِيهِ

ويرفعونهُ على الصليبِ:

أن يموتَ ككلبٍ على رصيفِ جانبيِّ

كلبٍ يدوسُ الناسُ على ذيلِهِ

ويُكمِلُون طريقيهم ..

هذه كانت أمنيَّتَهُ

رأيتُ ذلك في عينِيهِ،

حتى لو أَنَّهُم

كانوا أمهلوه بضعَ دقائقٍ أخرى

لهتَفَ قائلًا:

أنزِلُونِي عن صليبي الآن



أيها الحمقى  
لا أريدُ أن أموت ..  
لأجلِ أن تدخلوا الجنة.

هل ثمة أحد  
يريدُ أن يصيرَ مسيحاَ آخر؟  
عليه أن يعرف  
أن المسيح ..  
لو كان حيًّا  
في لحظاتِ كهذه  
فإنَّه سيُدِيرُ له ظَهْرَه  
بينما يرفعونهُ على الصليب  
وهو يُتَمَتِّمُ:  
صبيُّ طائش  
صبيُّ طائش ..  
هل ثمة أحد  
ما زال يشكُّ في أن المسيح  
لم يُرِدْ أبداً، أبداً  
أن يصيرَ مسيحاَ؟  
هل ثمة من أحد أيضاً ..  
ما زال يشكُّ  
في أن أمنيّة الحلاج الأخيرة  
كانتُ:  
أن يفكَّ الأصفادَ عن معصمَيْه

ويغادر  
يذهب فقط  
ليشرب نخبه مع امرأة!

الحلاج أيضا  
همس في أذني  
بكلمات .. لم يسمعها أحد  
قال:  
كُن صبيًا مطيعًا  
قل نعم لكل شرطٍ تُصادفه  
واذهب  
عش حتى آخر حُدودِ الحياة  
جد امرأة مناسبة  
اركض معها خلف الأنهارِ والعصافير  
أمسك بيدها  
حلّقًا معًا  
وحين تتعبان  
اهبطا بهدوء على العشب  
وبينما تُدغدغ الشمس وجهيكما  
اضحكا بسعادة  
اضحكا طويلاً  
هكذا  
إلى أن تقوم القيامة ..

## مَرثِيَّةٌ إِلَى نَفْسِي

لا وقتَ للإيمان  
أمامَ أرنبٍ برِّي يُقادُ نحوَ مَسْلَخِ  
لا وقتَ كي يُصَلِّيَ  
عصفورٌ وسطَ عاصفةِ  
إنه ليسَ زمنَ التَّطَلُّعِ للسماءِ  
والتَّحَلِّيِّ بالصبرِ  
إنه ليسَ زمنَ الفلاسفةِ والمنجِّمِونَ ..

إنَّها الحربُ  
حيثُ يُقادُ الناسُ كقطيعٍ من الخرافِ إلى ساحةِ  
حيثُ يكونُ من التَّرفِ  
أن يموتَ إنسانٌ برصاصةِ  
رصاصةٍ واحدةٍ وصغيرةِ  
آه، إنَّها موتةٌ مُحبَّبةٌ وسهلةٌ.

إنَّه زمنٌ يرى الناسُ اللهَ واقفاً في طريقِ  
ويعبرونَ من طريقِ آخرِ .  
إنه زمنٌ يرتدي فيه اللهُ زيَّ قَتْلَةٍ وسفَّاحينِ

إنه زمنٌ يرتدي فيه الله أشكالاً كثيرةً جداً  
ويرتدي فيه الموتُ أشكالاً أكثر  
إنني كُلُّما وليتُ وجهي  
رأيتُ اللهَ  
والموتَ  
يسيران في طريقٍ واحدةٍ  
متشابكي الأيدي  
كأنَّهما شخصٌ واحدٌ.

لا أب لي  
إنني يتيمةٌ جداً  
أضيّع وجهي في كُلِّ مياهٍ أنظرُ إليها  
وأظللُ طوالَ الفُصولِ  
أركضُ بجوارِ النهرِ  
الأحرقُ العصافيرَ التي شربتُ منه  
وأفتشُ في رمالِ الأشجارِ التي رواها النهرُ  
وفي شباكِ الصيادينِ  
في أفواهِ أطفالِهِم وبُطُونِهِم  
أبحثُ عن وجهي،  
أبحثُ عنِّي ..

إنني هُوَّةٌ سحيقةٌ  
يرمي الناسُ فيها الحجارةَ

واحدةً واحدةً  
ويَعُدُّونَ حَتَّى أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ خُرُوفًا ..  
قَبْلَ أَنْ يَسْمَعُوا ارْتِطَامَهَا ..

إِنْ رَأْسِي بَثْرٌ  
يَنْظُرُ النَّاسُ فِيهَا  
وَلَا يَرُونَ وُجُوهَهُمْ  
إِنْ رَأْسِي مِثْلَ رُوحِي ..  
مُعْتَمٌ وَكُنَيْبٌ

لَقَدْ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَنِي  
كَمَا كَانَ مُقَرَّرًا لِي أَنْ أَكُونَ  
صَخْرَةً صَمَاءٍ  
أَوْ مِنْجَمَ فَحْمٍ  
أَوْ بُقْعَةً دَاكِنَةً فِي سَمَاءٍ بَعِيدَةٍ  
بَدَلًا مِنْ أَنْ يَفْعَلَهَا  
وَيَخْتَارَ أَنْ يُعَذِّبَنِي بِبَشَرَّتِي  
وَسَيَفْعَلَهَا اللَّهُ مُجَدِّدًا  
وَيَخْتَارَ  
أَنْ يُعَذِّبَنِي بِبَشَرَّتِي الطويلة .. الطويلة.

إنني في التاسعة عشر

وعلى عكسِكَ، يا لوركا  
فإنني لن أنطفئَ كنجمَةٍ في مُنتصفِ عُمرِي  
لن تختفيَ جثَّتِي كصافرة  
ولن يُفتشوا في المنازلِ والمصانعِ والمخازنِ  
عنها .. عني

إنني سأموت  
أمامَ الجميعِ  
عاريةً ووحيدةً  
جائعةً كعُصنِ  
أو مُلقاةً على شاطئِ كَسَمَكَةٍ صغيرة ..  
سأموت  
أمامَ الجميعِ  
ولن يُلقي عليَّ أحدٌ حَبَّةَ رملٍ واحدةً  
سيجفُّ جَسَدِي ..  
وينكمش  
أمامَ الجميعِ  
وأبدًا أبدًا  
لن يهبطَ أحدٌ على وجهي  
ويُغمضَ عيني.

## لا يستلزم الأمرُ

لا يستلزم الأمرُ  
أن تُعاصرَ حرناً  
و أن تُلاحقَ بعَيْنِكَ  
الطائراتِ الحديديةَ  
وتُلَوِّحَ لها  
وكأنَّها من ورقٍ ..  
أن ترفعَ الأنقاضَ عن جَسَدِكَ  
كُلَّ صباحٍ  
وكأنَّكَ ترفعُ الأغطيةَ ..  
أن تدفنَ قَطَّتَكَ الصغيرةَ  
باسمًا  
وَأنتَ تقول: غداً ستنبِت  
غداً تصيرُ شجرةَ أكاسيا  
لا يستلزمُ الأمرُ  
أن تصنعَ لامَّكَ  
منزلًا من الرمالِ  
أن تُخبئَها من الحياةِ  
وبالحُزنِ الطفيفِ

الذي يغزو الوجوه  
في المطارات ..  
تُزودها بفناجينها الفضية المفضلة  
وأنت تقول: هذا ليس موتاً  
إنه سفرٌ طويل.  
لا يستلزم الأمر  
أن تستعيرَ دونَ حَجل  
أذرعَ الأشجار  
وأنت تقول: أنا أيضاً  
شجرةٌ ..  
لي ذراعان خشبيتان  
وقلبٌ ناتئ ..  
عيناى عشان مهجوران  
ونظراتي اليايسة  
طيورٌ تموتُ  
بأنقارٍ مفتوحة ..  
لا يستلزم الأمر  
حرناً  
لتغدو تعساً  
ولا موتاً  
لتملك قلباً مُعدباً  
وحياةً شاردة ..  
أحياناً



الأمرُ لا يتطلَّب  
أكثرَ من إشارة  
أكثرَ من تهيدةٍ  
ووقوفٍ طويلٍ ..  
بعدهما تُدركُ فجأةً  
أن السماءَ تمطرُ  
لأنَّ عيوماً بعيدةً  
يُولمها السَّيْرُ الطويلُ  
قررتُ أن تستريحَ على الأرض..  
السماءُ لا تمطرُ  
لأنَّ أحداً هناك،

في الأعلى  
أشفقُ على جفافِكَ.

# كناية

قد يكون الرَّبُّ ضوئًا  
في نهايةِ الأمرِ  
أو صوتًا غائرًا  
أو جرحًا قديمًا  
قد يكونُ كنايةً  
عن معنى التَّشْطِي  
أو رغبةَ الإنسانِ في وطن  
أو امرأةً  
أو حُلْمًا بعيدًا.

# عن الله .. بينطاله المقطوع من على ركبته

إلى أشرف فياض ..

عندما كُنَّا صغَارًا ..  
كان الله يتسلَّل كُلَّ لَيْلٍ  
إلى صناديقِ العَابِنَا  
ليُرَبِّبَهَا،  
كي لَا تَنْهَرَنَا أُمَّهَاتُنَا ..  
حين تَفِيقُ في الصَّبَاحِ ..  
كُنَّا نَقْتَسِمُ مَعَهُ شَطَائِرَنَا  
ونصطحُبهُ في نزهَاتِنَا المدرسيَّةِ  
ونجمَعُ كُلَّ يَوْمٍ شُمُوعًا كَثِيرَةً  
استعدادًا لعيدِ ميلاده ..  
كان الله صديقنا الخياليَّ  
وكُنَّا نراه مُتَجَسِّدًا  
في أبطالِ القِصصِ كُلِّهِمْ،  
التي ترويها أُمَّهَاتُنَا.

كُنَّا نرى اللهَ أبطالنا كُلَّهُمْ  
وكان كُلُّ بطلٍ نراه، نَظْنُهُ الله.

مرّة ظننتُ اللهَ جَارَنَا العجوز  
لأنه كان يفتسمُ خُبْرَهُ كُلَّ يومٍ  
مع قَطَطِ الشوارعِ ..  
مرّةً أُخرى ظننتُ اللهَ أُمِّي  
عندما رأيتها تجمَعُ الملابسَ من فوقِ حبلِ الغسيلِ ..

كُنَّا نتصوّرُ اللهَ  
في طالبِ المدرسةِ الجديدِ  
حيثُ كان ذكيًّا، ولديه علبَةٌ تلوينٍ مميّزةٌ ..  
وكُنَّا نتساءلُ دائماً ..  
كيف سندعُوهُ أن يرافِقَنَا  
إلى الملعبِ ..

لقد كُنَّا نتساءلُ أيضًا  
عن لونِ أحذيتِهِ المُفضّلةِ ..  
وكنيتِهِ التي يغضبُ كُلّما ناداهُ أحدٌ بها  
وكيف سيتصرّفُ إذا لكرهُ شخصٌ في الطابورِ ..  
كُنَّا نتساءلُ إن كان بُرجوازيًّا أو بروليتاريًّا  
إن كان يضعُ ربطةً عُنُقٍ  
ويبكي كُلّما سمعَ شتيمَةً بذيئةً.

كُنَّا نتمنّى أن يكونَ أكبرَ منّا قليلًا

يُدخُنُ الماريجوانا  
يسرقُ أحدىةَ المُصلِّين من أمامِ المسجد  
ويُخبِّي تحتَ وسادتهِ صورَ فتياتِ جميلات  
كُنَّا نتمنى أن يعيرنا صورَ فتياتهِ الجميلات.  
أن يختبئ معنا تحتَ السَّلَم في أوقاتِ الصلاة  
كي لا يجرنا أباًؤنا نحوَ المساجد.

كُنَّا نتساءلُ إن كان سيُطيلُ شَعْرَهُ  
عندما يُصبحُ في الرابعة عشر  
نكايَةً بإمامِ المسجد، ومديرِ المدرسة.  
إن كان سيرفضُ أن يحلقَ شَعْرَهُ  
كُلِّما نهرهُ المتديّنون في الشارع ..  
ونَعْتُوهُ باسمِ امرأة.  
إن كان سيرتدي جينزاً  
وسِلْسَالاً ذهبياً طويلاً  
سِلْسَالاً لا يُحبُّه  
لكنه يرتديه .. فقط ليُعبّرَ عن غضبه.

كُنَّا نتساءلُ إن كان أَحَبَّ فتاة  
لم يُحدِّثها  
لم يسمع صوتها  
ولم يُبادلها القُبْل

إنما أحبها فقط  
لأن عينيها جميلتان  
وإن كان يمضي ليله كله  
مُتَخِيلاً  
كيف يبدو وجهها  
من دون البرقع.

كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ  
لَا يَصْلِحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا.  
وَعِنْدَمَا كَبَرْنَا قَلِيلًا ..  
كَانَ اللَّهُ يَقِفُ فِي سَاحَةِ  
يَحْمَلُ سِيفًا  
وَيُنْقِذُ أَحْكَامَ الْقِصَاصِ ..  
عَلَى بُعْدِ شَارِعَيْنِ مِنَ الْمَنْزِلِ.  
عِنْدَمَا كَبَرْنَا قَلِيلًا  
لَمْ يَكُنْ أَحَدُنَا يَجْرُؤُ عَلَى أَنْ يُفَكِّرَ بِاللَّهِ ..  
دُونَ أَنْ يَتَحَسَّسَ رَقَبَتَهُ.

## خَرَجَ لِلدَّهْلِيْزِ، وَبَكَى بُكَاءَ مُرًّا (\*)

"نَفْسِي حَزْنَةٌ جَدًّا حَتَّى الْمَوْتِ، ابْقُوا هَهُنَا، وَاسْهَرُوا مَعِي" (يَسُوعَ).

خَرَجَ لِلدَّهْلِيْزِ  
وَبَكَى بُكَاءَ مُرًّا ..  
كَانَ اللَّيْلُ حَالِكًا  
وَالْقَمَرُ غَمَامَةً سُودَاءَ .  
لَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُ حُزْنًا  
وَكَانَ، لِسَبَبٍ لَا يَعْرِفُهُ  
يَشْمُ فِي الْكُونِ  
رَائِحَةً وَدَاعَاتٍ كَثِيرَةً ..  
وَيَرَى الصُّبْحَ  
يَنْتَحِبُ الْآنَ  
فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْبَلَدَةِ.

اسْهَرُوا مَعِي،  
قَالَ ..  
أَحْسُ أَنْ الْمَوْتَ  
يُشْبِهُ حُزْنًا عَمِيْقًا  
وَأَعْرِفُ أَنْ الْجَحِيْمَ

---

(\*) الإصحاح السابع والعشرون.

ليس سوى حُزْنٍ مُذاب ..

اسهروا معي  
أنا أحتضر حُزْناً  
وأشمُّ رائحةَ أبي  
في خَسْبِ الصليب ..  
لا أعرفُ لي أمًّا  
ولا أعرفُ إخوة ..

لماذا، يا إيلي

جعلته غير موجود؟  
وحين تدثرتُ بيتمي  
وبكيتُ  
مررتُه للضوء  
وجعلتَ في عينيه  
نظرةَ قنّاص ..

لماذا، يا إيلي؟

جعلتني أترعرع  
بعينين تدلقان حُزْناً  
وفي ليلى الأخير  
أطفأتُ حزني في عيني  
فأنكرني صاحبي  
قبل الفجر



ثلاث مرّات ..

اسهروا معي  
أردتُ إخوةً عاديين  
يُنازعونني حولَ أغطيةِ الفراشِ

وبلدة

أُكِنِّي باسمها  
وأُمَّا تَتَخَيَّرُ وَطَنًا  
تَلدُنِي فِيهِ ..

لا مَنفَى.

أردتُ ناسًا

محضَ ناسٍ

يُشعلُون حولي نارًا

ويسهرون معي ..

أردتُ أحدًا لا يُصدِّقني

حين أنكر يُتَمي

في الحُقُولِ

وأدعي كذبًا

أن الكونَ أبي ..

أردتُ أحدًا

يكونُ أبي.

لماذا، يا إيلي؟

أحببتُ حُرْزِي

لكن، كشاعر  
أو مَشَاء  
يُطْعِمُ الطَّرِيقَ خَطَوَاتِهِ  
أَوْ مُسْرِنَمًا  
يَتَّبِعُ خَلْسَةَ  
الموتى الذين يتسلَّلون من مناماته  
ويذهبون لدَفْنِ موتاهم ..

لماذا، يا إيلي

كُنْتُ حَزِينًا  
وَأَنْتَ تَعْرِفُ  
أَنَّ الدُّنْيَا  
من فوقِ الصَّليبِ  
تكونُ أَشَدَّ حَزْنًا؟ ..  
وشخصٌ ما  
كان يحرقُ قَشًّا  
في البعيدِ  
وشخصٌ آخر  
أحمرُ الشَّعْرِ ..  
كان يهبطُ عن صليبه  
حيًّا ..

وقلتُ:

سأهبطُ الآن

لكنهم غمّسوا أيديهم في الدم ..

وقالوا:

عجّل موتك،

نريدُ العودة إلى بُيوتنا.

قلتُ:

سأهبطُ الآن

لكنَّ شخصًا ما

كان يحرقُ قشًا في البعيد

جاء،

وحدّقَ في عينيّ ..

جاء،

وكنْتُ حيًّا.

جاء،

ولم ينتظرني حتّى أموت ..

لكنَّ شخصًا

كان يحرقُ قشًا

في البعيد ..

جاء،

وسرّقَ ثيابي.

# سيفتالونك

سيفتالونك

باسمِ الرَّبِّ

أو الرَّبِّ الآخِر.

باسمِ المَلِكِ الذي في السماء

أو المَلِكِ الذي في الأرض

سيفتالونك

باسمِ الإلهِ الذي هنا

أو هناك

باسمِ إلهِ الحُبِّ

أو الحرب

باسمِ إلهِ الجَدْبِ

أو المَطَرِ

باسمِ إلهِ الأوَّلِينَ

أو الآخِرِينَ

باسمِ أيِّ إله

سيفتالونك

وحتى لو ما وجدوا إلهًا

أو وجدوه ميتًا

أَوْ مُغْتَالًا  
مَنْذُ أَلْفِ السَّنِينَ  
أَوْ مَرْبُوطًا فِي عَجَلَاتٍ  
أَوْ دَامِيًا عَلَى صَلِيبٍ  
أَوْ مُتَحَلِّلًا فِي قَبْرِ  
أَوْ جِرَّةٍ..  
فَسَيَصْنَعُونَ وَاحِدًا جَدِيدًا  
وَبِاسْمِهِ أَيْضًا  
سَيُغْتَالُونَكَ.



# ربّما عليّ أن أُودِعَكم الآن

ربّما عليّ أن أُودِعَكم الآن  
فما زالتُ أمامي الكثيرُ من الحيوَات  
التي عليّ أن أعيشَها،  
مرّةً كُنْتُ قُبْرَةً ..  
اصطادَها صيَادٌ على سبيلِ المتعة  
مرّةً أُخْرَى كُنْتُ صيَادًا  
اصطادَ الكثيرَ من القُبْرَاتِ في حياَتِه  
وحيثُ ضَجِرَ  
اصطادَ نفسَه ..

على سبيلِ المتعة، أيضًا.  
مرّةً كُنْتُ يَرْقَةً، ومرّةً كُنْتُ فراشَةً تحومُ حولَ ضوء  
مرّةً كُنْتُ كهربائيًا،  
وهو يُبدّلُ مرّةً أحدَ الأضواءِ الخافتةِ، قَتَلَ فراشَةً  
تحومُ حولَ ضوءٍ خافت  
قَتَلَ نفسَه .. في حياةٍ أُخْرَى.  
ربّما عليّ أن أُودِعَكم الآن  
كي أصيرَ غُرَابًا  
يقتلُ غُرَابًا، ويدفنه،

كي يُعَلِّمَ أَخَا  
كيف يدفنُ أخاه،  
كيف يدفنُ نفسَهُ في حياةٍ أُخرى .. وبيكي عليها،  
ربِّمَا عَلِيٌّ أَنْ أُودِعَكُمْ  
كي أتعلِّمَ كيف أدفنُ نفسي .. وكيف أبكي عليها  
ربِّمَا  
عَلِيٌّ أَنْ أُودِعَكُمْ،  
الآن،  
كي أصيرَ حَقَّارًا  
وأدفنَ جِثَّتِي ..



# عامان تقريباً يكفيان للحِدادِ على شخصٍ ما

عامان تقريباً يكفيان للحِدادِ على شخصٍ ما  
بعدها، يُصبحُ بإمكانِ المرءِ الخُرُوجُ للحياةِ بأعينٍ مفتوحة.  
لا يُحبُّ الناسُ الاعترافَ بذلك  
حينَ يتماثلون للشفاءِ من أحزانٍ قديمة  
وبعدَ أعوامٍ أخرى  
لا يتمكنون من تذكُّرِ وُجوه موتاهم ..

عاشَ الإنسانُ طويلاً بما يكفي كي يكونَ صريحاً  
وكي يُدركَ بسُهولةٍ أنه ليسَ فريداً  
وأنَ حياته انبثقتَ على سبيلِ الحظِّ  
وأنه سيموتُ طبعاً، مثلَ مَنْ ماتوا  
وعلى شيءٍ مثلِ هذا ألا يُدهِشُهُ ..

عاشَ الإنسانُ بما يكفي أيضاً  
كي يكتشفَ أنه وُجدَ وحيداً  
وأنَ الرَّبَّ في أفضلِ الأحوالِ أُمْنِيَّةٌ جميلة

وَأَنَّ الْأُمَّهَاتِ - الْمُتَذَمَّرَاتِ بِشَكْلِ رَئِيسٍ - يَدْفَعْنَ أَبْنَاءَهُنَّ لِلجُنُونِ  
وَأَنَّ وُجُودَ الْأَبِّ يُشْبِهُ ارْتِدَاءَ مَعْطَفٍ فِي يَوْمِ حَارٍّ ..

كُلُّ شَيْءٍ وَاضِحٌ،  
لَيْسَ لِأَنِّي وُلِدْتُ بِمَيْلٍ كَبِيرٍ لِلتَّشَاوُمِ  
لَكِنِّي بِالكَادِ حَصَلْتُ عَلَى حَيَاةٍ خَفِيفَةٍ  
أُظَنُّ أحيانًا أَنَّهُا ظَلُّ لشيءٍ ما ..  
وَلَوْ تَرَكَ الْأَمْرُ لَوَالِدَيَّ  
- اللَّذَيْنِ رَبِّيًّا أَوْلَادًا كَثْرًا -  
لَمَا أَطْلَقُوا عَلَيَّ اسْمًا ..

لَمْ تَعُدِ الْحَيَاةُ تَمْلِكُ مَا تُعْطِيهِ أَكْثَرَ  
وَقَدْ أَخَذَ الْمَوْتِ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ رَحِيلِهِمْ  
وَفِي بِلْدَةِ كَهْذِهِ  
لَا يَجِدُ النَّاسُ شَيْئًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ  
الْأَمَلُ تَفَاهَةٌ  
السِّيَاسَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَاضِي  
وَالْعُودَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لَمْ تَعُدْ أَمْرًا مَهْمًا ..

لَنَكُنْ وَاضِحِينَ  
أَبَاؤُنَا مَا تُوُوا غَالِبًا لِأَجْلِ أَحْزَابِهِمْ  
بَيْنَمَا نَجِدُ نَحْنُ مَشَقَّةً فِي صُعُودِ السَّلَامِ نَحْوَ أُسْرَتِنَا.

كُتبت قصائد هذه المجموعة بين عامي ٢٠١٤-٢٠١٧



## فهرس المحتويات

- كما لو أنّ في الأمرِ مزحةً ما .. ١١ ..
- ما يُشبهُ التَّعبَ البسيطَ ..... ١٣ ..
- كظَلُّ يَتمدّدُ على جدار..... ١٦ ..
- أنا حَيٌّ، أرجوك، احقني بالمورفين..... ١٨ ..
- لن أصافحَ أحدًا ..... ٢٣ ..
- أُغنيّةٌ عَجريّةٌ ..... ٢٧ ..
- الفراع، له وزنٌ أيضًا ..... ٢٩ ..
- الآباءُ حجروا قُبورنا الرخاميّةً ... ٣٢ ..
- طفلاً يتأخّرُ دومًا ..... ٣٦ ..
- أمرٌ مُحزِنٌ أن يكونَ للمرءِ خمسةُ أصابع ..... ٣٨ ..
- دَعني أتشرّد ..... ٤٣ ..
- كما لو أنّ في الأمرِ مزحةً ما .. ٤٦ ..
- حينما يكون قلبي حافيًا ..... ٤٩ ..
- آباءٌ غادروا مع البحرِ ..... ٥٣ ..**
- بسببِ آباءنا على الأرجح .. ٥٥ ..
- مُتعبين، تُطارِدُنَا أحزاننا مثل سربِ خائفٍ .. ٥٨ ..
- وحياتنا، يا ابنَ العمِّ، مثقوبَةٌ .. لا تُبحرُ ..... ٦٢ ..
- حتّى النهر .. يتمنى أن يجفَّ ..... ٦٧ ..
- حلّقُ مُكثِّطٌ برئاءٍ طويلٍ ..... ٧١ ..

- ٧٥ ..... **جَرَّبَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، وَقَالَ: لَا، لَمْ أَكُنْهَا ..**
- ٧٧ ..... يقولُ بأنه ذاهبٌ؛ ليلعقُ جراحه ..
- ٨١ ..... وكان صوتُ حياته القديمة .. يرنُّ في ذاكرته
- ٨٢ ..... اخرجِ الآن، أيُّها الوحيدُ ..
- ٨٦ ..... الإنسانُ الأكثرُ شَبَهًا بكرسيِّ مُدوَلَبٍ ..
- ٩١ ..... حين تكونُ حزينًا منذُ الولادة ..
- ٩٥ ..... رَوْضُ قَلْبِكَ ..
- ٩٨ ..... أَغْلَقَ الْبَابَ، وَتَرَكَ نَفْسَهُ تَطْرُقُ فِي الْخَارِجِ ..
- ١٠١ ..... بعيدًا عن المنزلِ ..
- ١٠٤ ..... يا أجيالنا القادمة ..
- ١١٠ ..... (أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا) ..
- ١١٣ ..... لو أنَّكَ لم ترحلْ عن الفجرِ ..
- ١١٧ ..... **كَمَنْ اِكْتَشَفَ - دُونَ عَمْدٍ - سِرَّ الْآخِرِ ..**
- ١١٩ ..... وَمَنْ يَرَاكَ الْآنَ، يَا وَجْهَ الْعَالِمِ الْمَتَغَصِّنِ ..
- ١٢٥ ..... والبحرُ فينا، هو الذي كان يبكي ..
- ١٢٩ ..... وتبكي بكاءً السَّاهِي عن جنازته ..
- ١٣٢ ..... مَنْ تَرَكَ الْأَشْجَارَ لِلرِّيحِ؟ ..
- ١٣٦ ..... لم يحبَّ أحدٌ الحديثَ عن الرفاقِ الميتين ..
- ١٣٩ ..... بعد مئة عامٍ، لن يكونَ أحدٌ متًّا موجودًا ..
- ١٤٢ ..... فِي الظَّلِّ، وَرَاءَ الْبَابِ الْمُوَارِبِ ..
- ١٤٧ ..... **وَأَنْتِ تُوزَعُ حُطَاكَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ كُلِّهَا ..**
- ١٤٩ ..... تعالِ .. بأيةِ هيئةٍ، تعالِ ..
- ١٥٨ ..... إِنَّهُ الْعَالَمُ يَنْتَهِي .. وَلَا يُصَفِّقُ أَحَدٌ ..
- ١٦٠ ..... شخصان يُدليان أقدامَهُما على حافةِ العالمِ ..

- أَيَّتْهَا الثَّوْرَةُ .. ١٦٥.....
- دَائِمًا هُنَالِكَ وَقْتُ. ١٧٠.....
- حَتَّى لَا نَظْهَرَ كَنْدَبَةٌ عَلَى جَبِينِ الْعَالِمِ. ١٧٦.....
- حَمَامَةٌ تُحَدِّقُ فِي الْبَعِيدِ، وَتَلْمَعُ فِي عَيْنَيْهَا عَصَا بِنْدَقِيَّةٍ ١٨٠.....
- ابْقُوا ههنا، واسهَرُوا معي .. ١٨٧.....**
- الذِّي جَعَلَ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا .. ١٨٩.....
- الْحَلَّاحُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا .. ١٩١.....
- مَرْتَبَةً إِلَى نَفْسِي..... ١٩٥.....
- لَا يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرُ .. ١٩٩.....
- قَدْ يَكُونُ الرَّبُّ ضَوْءًا .. ٢٠٢.....
- عَنِ اللَّهِ .. بِنِطَالِهِ الْمَقْطُوعِ مِنْ عَلَى رَكْبَتِهِ. ٢٠٣.....
- خَرَجَ لِلدَّهْلِيْزِ، وَبَكَى بَكَاءَ مَرًّا .. ٢٠٧.....
- سَيَعْتَالُونَكَ .. ٢١٢.....
- رَبِّمَا عَلِيٌّ أَنْ أُودِّعَكُمْ الْآنَ .. ٢١٥.....**
- عَامَانٌ تَقْرِيْبًا يَكْفِيَانِ لِلْحِدَادِ عَلَى شَخِصٍ مَا .. ٢١٧.....

دخلنا إلى الغدِ بصُعبَةٍ  
كَمَنْ يَدْخُلُ إِلَى غَرْفَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْعُبَارِ ..  
ومثل جُنُودٍ مَهْزُومِينَ  
طَرَقْنَا أَبْوَابَ طُقُولِنَا .. من حينٍ لآخر  
وارتمينا فوق أحضانِ أمّهاتنا.

وفي أزمنة كهذه،  
حين يكونُ الحديثُ عن الحربِ أمرًا غيرَ مُستحبِّ  
- كأنها شيءٌ تجاوزَهُ العالمُ،  
على الرَّغمِ من أن هَدِيَرُهَا يُسَمَعُ من النافذة -  
نقولُ بأننا سُعراءُ،  
ونبدأُ بالحديثِ عن الفَقْدِ  
وعن أمّهاتنا اللواتي هَجَرْنَنَا في الطُقُولَةِ  
وحين لا يكفي هذا لتبريرِ أحزاننا  
نخترعُ أمّهاتِ زرقاواتِ يظهرنَ في الليلِ  
وأشخاصًا كَثُرًا نَسْكُنُ أجسادَهُمْ  
ونبدأُ بالشكوى من الأصواتِ في عُقُولِنَا  
وبالحديثِ عن الكآبةِ، يصبحُ كُلُّ شيءٍ كافيًا.

ISBN: 978-88-85771-31-4



9 788885 771314